المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



يقدم الطالب بعمل التصويبات المطلوبة
المشرف

عبد اللطيف بن دهيش
سعيد بن سعد الغامدي
محمد سيد محمد

# الدولة العثمانية والغزو الفكري

## حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م

الطالب: خلف بن دبلان الوذيناني

رسالة مقدمة لنيل درجة
الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث



إعداد
خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني

إشراف الأستاذ
الدكتور عبد اللطيف عبد الله بن دهيش






مكة المكرمة
١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرساله : ( الدوله العثمانيه والغزو الفكرى حتى عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م )

مما هو ملاحظ أن معظم من تناول موضوع الغزو الفكري في الدولة العثمانية قد ركز على ان الدولة العثمانية كانت عرضة لهذا الغزو الفكري في كل عصورها التاريخية ولكن فاتهم أن يعرفوا الحقيقة وهي أن الدولة العثمانية كانت غازية في عصور قوتها حيث قامت بفتح مناطق واسعة ونشرت الاسلام بها . وكان تقدمها في عصرها الاول يرجع الفضل فيه الى الله سبحانه ، ثم لتطبيقها للنظم الاسلامية تطبيقا شاملا، ولكنها كانت غير ذلك في عصرها الثاني ، عندما انحرفت عن المنهج الاسلامي القويم ،فاخذت في سن قوانين وضعية ما أنزل الله بها من سلطان وحق عليها قوله تعالى : ﴿ ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ .

وتحتوى خطة البحث على مقدمة وخمسة فصول . فالمقدمة تتحدث عن طبيعة الدولة الاسلامية وفتوحاتها في آسيا الصغرى وشرق أوربا تدفعها الى ذلك روح الجهاد الاسلامي ، لنشر الاسلام فيها ، لذلك كان استمرار الجهاد احد أهداف قادة هذه الدولة .

ففي الفصل الاول تحقق هذا حيث بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها لاعتمادها على تطبيق النظم الاسلامية ، وكان ركائز هذه القوة صلاح السلطان والشيخ والجندي وهذا ماجعل محمد الفاتح يتطلع لفتح القسطنطينية مركز ومعبر الصليبية الى الأراضي الاسلامية لمحاربة الاسلام ، وقد استطاع محمد الفاتح من فتحها .

أما الفصل الثاني فجاء الحديث فيه عن الوسائل التي أدت الى تسرب الخلل الى السلاطين وهيئة العلماء والى الجيش المحارب (الانكشارية ) وعدم استطاعتهم حل المشكلات لاخراج دولتهم الى بر الأمان في عصر الدولة الثاني ، هذا الخلل جعل الدولة حقلا للغزو الفكرى الأوربي . وقد جاء هذا الغزو عن طريق الارساليات الاجنبية والتي كانت تضم أعدادا كبيرة من المستشرقين والمنصرين .

وفي الفصل الثالث كان الحديث عن عوامل الغزو الفكرى الأوربي للدولة العثمانية والممثلة في العلمانية والقومية والحركة الدستورية والتي تسربت افكارها عن طريق الحملة الفرنسية الى ولايات عديدة من ولايات الدولة العثمانية بهدف تفتيت الوحدة الاسلامية وخلق جو من الاضطرابات داخل جسم الدولة رغبة في الاستقلال عنها .

أما الفصل الرابع فقد تعرضت الخطة لمظاهر الغزو الفكرى حيث اتجهت الدولة نحو الدستور فأصدرت خط كلخانة سنة ١٢٥٥ هـ . ثم أخذ هذا الغزو يتفاقم منذ الحرب الروسية التركية المسماة بحرب القرم التي انتهت بمعاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ عندما آرغمت الدول الاوربية الدولة العثمانية باصدار الخط الهمايوني سنة ١٢٧٣ هـ . تبع ذلك انهيار التشريع الاسلامي وخلع السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٧ هـ بواسطة حزب الاتحاد والترقي بالتعاون مع الصهيونية والماسونية التي فرضت على البلاد صدور المشروطية الاولى والثانية .

أما الفصل الخامس فقد خصص لمواجهة الغزو الفكرى في الدولة العثمانية وذلك عندما قام حزب الاتحاد الاسلامي ضد الاحرار دعاة المشروطية لمقاومتها .

ومن أهم النتائج التي تم التوصل اليها في هذا البحث :

١- حماس الدولة العثمانية في الجهاد ونشر الدعوة نحو الغرب منذ بدايتها .

٢- عقب سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين سجلت اوربا تراجعا عسكريا ،واوقفت تهديدها الصليبي لغزو المقدسات الاسلامية وحصرت طاقتها الدفاعية عن مقر البابوية في روما .

٣- حين تساهلت الدولة في أمر دينها الاسلامي في عصرها الثاني ، اخذ الغزو الفكرى يتغلغل ، لضعف سلاطين وجيش وعلماء الدولة فعمل على تفتيت ممتلكاتها الاسلامية .

٤- واخيرا فانه اذا كانت اوربا النصرانية قد اوقفت التحرك الصليبي العسكرى فانها ظهرت بمظهر جديد هو الغزو الفكرى ، مما يحتم على العالم الاسلامي أن يركز على غزو فكرى اسلامي مضاد يعمل على ترسيخ النظم الاسلامية ونبذ مايخالف ذلك .

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " .

وبالله التوفيق .

| الطالب | المشرف | عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية |
|---|---|---|
| خلف بن دبلان الوذيناني | د.عبداللطيف بن دهيش | د.عابد محمد السفياني |

## فهرس الموضوعات

## تابع فهرس الموضوعـــــــات



...

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم الموضوع :

الحمد لله الذى هدانا الى الاسلام ، وماكنالنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأكمل لنا الدين ،وأتم علينا النعمة ،ورضي لنا الاسلام دينا ، وأرسل محمدا بالهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ،لايزيغ عنها الا هالك ، فصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وبعد:

فانه بعد حصولي على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي في ( العصر الحديث ) ،أخذت أستعرض أحداث التاريخ الاسلامي وتطوراته وذلك لاختيار موضوع منها يكون مناسبا لدراسته في مرحلة الدكتوراه ، ومن خلال تلك الدراسة رأيت أن تاريخ العالم العربي والاسلامي في العصر الحديث يعتبر الجزء الأكبر منه داخلا في تاريخ الدولة العثمانية ، ومن ثم أصبح اختيار موضوع من تاريخنا العربي والاسلامي في العصر الحديث مرتبطا أساسا بتاريخ الدولة العثمانية . ومن هذا المنطلق وقع اختيارى لموضوع جوهرى يمس حياتنا وواقعنا المعاصر ، لأن جذوره ظهرت ونشأت خلال فترة تاريخ العصر الحديث للعالم الاسلامي والعربي وذلك لمعرفة أسبابه ونشأته وتطوره ونتائجه . فكان هذا الموضوع يحمل عنوان ( الدولة العثمانية والغزو الفكرى ) حتى عام ١٣٢٧ هـ /١٩٠٩م . وقد جاء اختيارى لهذا الموضوع لأمور منها :

أولا: لاحظ كثير من الباحثين الذين تناولوا الغزو الفكرى قد ركزوا على أن العالم الاسلامي كان عرضة للغزو الفكرى في كل عصوره التاريخية ،وخاصة في العصر الحديث . ولكن فاتهم أن يلاحظوا أن العالم الاسلامي كان غازيا في عصور قوة الدولة الاسلامية . فالدولة العثمانية كانت متقدمة فكريا وسياسيا في عصرها الأول ذلك العصر الذى طبقت فيه النظم الاسلامية تطبيقا شاملا ولكنها كانت غير ذلك في عصرها الثاني .

ثانيا: أهمية تناول الغزو الفكرى من الجانب التاريخي وبالأسلوب التاريخي التطبيقي في العصر الحديث ،تناولا - في ظني - ينفرد به قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية وقسم التاريخ الاسلامي بكلية الشريعة

والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى لاعداد تخصصات مباشرة ودقيقة للموضوعات التي استحدثت عند تطوير مناهج قسم التاريخ ،ومنها الغزو الفكرى .

فموضوع الدولة العثمانية والغزو الفكرى من الموضوعات الهامة والجديدة التي لم يتعرض لها أى باحث على المستوى العلمي الدقيق، ونتيجة لذلك استعنت بالله وسألته التوفيق وعزمت على دراسة هذا الموضوع وجمع شتات مادته من الموارد العلمية ذات الصلة بالموضوع .

أما الصعوبات التي واجهتني ، فلا شك أن أى باحث مهما بلغت درجته العلمية -لابد أن تقابله بعض الصعوبات والمتاهات التي تظهر له أثناء جمع المادة ،ولكن بالعزيمة والاصرار يستطيع الباحث بتوفيق من الله تعالى أن يجتاز كل الصعوبات ، الا أن الباحث لايخلو من الخوف والقلق وهذا ماحدث لي ،وخاصة لصعوبة هذا الموضوع ، حيث بدأت رحلتي العلمية الشاقة للبحث عن مادة هذا الموضوع ، بدراسة تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى خلع السلطان عبد الحميد الثاني دراسة مستفيضة وقفت من خلالها على أحوال الدولة في عصر قوتها حتى دانت لها أوربا ،وجثت أمامها على ركبتيها ، بلوهددت روما حتى كادت فتحها ونشرالاسلام بها ، فاهتزت لهذا الحدث أركان أوربا ،وخافت روما من السقوط .ونتيجة لذلك انكمشت الحركة الصليبية خوفا من المسلمين بل توقفت نهائيا من الوصول الى اسطنبول التي كانت مركزها ومعبرها الوحيد الى داخل الاراضي الاسلامية فوقفت الصليبية تدافع عن نفسها مذهولة ، بعد أن كانت تهدد العالم الاسلامي وتقيم الأحلاف عقب الاحلاف ، لتنطلق بحروبها الصليبية من جديد الى البلاد الاسلامية ولكن الله خذلها وردكيدها لهذا لابد أن أبرز هذه الاحداث التاريخية المشرقة التي قام بها العثمانيون فاتحين نحو الغرب للجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في أوربا حتى حققوا تلك الانتصارات وبناء دولتهم على الأسس الاسلامية ، فتمكنت بفضل من الله قهر أعدائها نصارى أوربا واوقفت خطر الحملات الصليبية التي كانت تهدد العالم الاسلامي وحولت مركزهم ومنطلق حملاتهم الى عاصمة اسلامية ومنطلق

للدعوة الاسلامية في أوربا.لذلك تقدمت الجيوش الاسلامية في فتوحاتها في عصر سليمان الأول (القانوني) حتى بلغت أقصى اتساعها فشملت القارات الثلاث آسيا واوربا ثم افريقيا ، وبالتالي غدت الدولة العثمانية دولة اسلامية عظيمة شملت أراضيها قارات ثلاث فانتشرت مع ذلك الدعوة الاسلامية وزاد عدد شعوبها ، الا أن هذا التحرك الاسلامي العظيم أزعج الدول الأوربية والشعوب النصرانية فاخذت تخطط للنيل من هذه الدولة ومحاربة الاسلام والحد من انتشاره وكان منفذها الوحيد لتحقيق أهدافها وغاياتها هو عن طريق الغزو الفكري وايهام قادة الدولة بأنها في حاجة الى تطوير نظمها ، وقد تحقق لها ذلك بعد موت السلطان سليمان الأول ، فحل بالدولة الخلل الذى لم يستطع للأسف سلاطينها وعلماؤها وقادة جيشها من التغلب عليه خاصة بعد أن سرت بين قادتها حياة الترف والانغماس في الملذات وعدم الالتفات الى ادارة الدولة وتطويرها، فقد كانت الثروة التي جمعها سلاطين آل عثمان في عصرها الأول من الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة ،وما تلى ذلك من الاستقرار الداخلي وزيادة موارد الدولة هي التي أفسدت نظام الدولة وسلاطينها وجيشها ، ونظرا لضعف السلاطين خلال العصر العثماني الثاني للدولة العثمانية وتساهلهم في الحفاظ على ممتلكات وحدود الدولة ووحدتها التي حصلت عليه في عصرها الأول . مما هيأ الجو للعناصر المعادية لأن تعمل في السر والعلانية لغزو الدولة العثمانية فكريا وعسكريا ، فكثرت الارساليات الاجنبية والبعثات التنصيرية وخاصة الى بلاد الشام وتداخلت الأحزاب السرية من صهيونية وماسونية حتى أغرقت البلاد من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها محاولة تغير المفاهيم الاسلامية . ومما يؤسف له أن قادة الدولة اهملوا الداء حتى عم واستشرى شره ،وما علموا ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان فلم يبحثوا في ايجاد نظم تتمشى مع الشريعة الاسلامية بل استبدلوا بالشريعة القوانين الوضعية التي وضعها لهم أعداء الاسلام، فأضاعوا الاسلام فضاعوا ، وتدخلت الدول الأجنبية في شئون الدولة الداخلية والخارجية وحصلت على الامتيازات والحقوق التي رسخت أقدامها في البلاد الاسلامية وظهر أعداء الاسلام بمظهر دعاة الاصلاح ، فكانت الفرصة سانحة

لهم لعمل مايريدون عمله بتوجيه عالمي من زعماء الصهيونية والماسونية والعلمانية العالمية وجاءت جمعية الاتحادوالترقي التي يقودها أذيال الماسوينية والعلمانية وتسلطوا على السلطة حتى استطاعوا اخلع السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م فأنهوا بذلك الدولة التي أصبحت لقمة سائغة للاستعمار.

وخلال تلك الفترةظهر في شبه الجزيرة العربية الزعيم القائد الامام محمد بن سعود، فأيد الدعوة الاصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وظهرت في شبه الجزيرة العربية دولة التوحيد، الدولة السعودية فكان الاعداء لها بالمرصاد ،فقاموا بتفتيت تلك الدولة الاسلامية الرائدة أكثر من مرة ونعتوها بالألقاب حتى يظهروها بالمظهر الخارج عن الاسلام ولكن الله ينصر من ينصره فقد هيأ لهذه الدولة قائدا حكيما لم تنطل عليه الحيل والأقاويل، هو الملك عبدالعزيز الذى خشي أن تطأ أقدام الكفرة الأراضي المقدسة في الحرمين الشريفين ،فسار في عملية فدائية حتى وحد شبه الجزيرة العربية وأبعد عنها شبح الاستعمار وعمل على توحيد الأمة العربية والاسلامية وأعاد للعالم الاسلامي مكانته وشخصيته البارزة كما طبق الشريعة الاسلامية كأساس للحكم والادارة .

ولجمع مادة هذا البحث فكان لزاما علي أن أقوم برحلة علمية أقف من خلالها على مادة هذا الموضوع من مظانها الأصلية في المكتبات العامة والخاصة ومراكز البحوث والوثائق في داخل المملكة وخارجها.

لهذا قررت السفر أولا الى اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية ولوجود الوثائق والمخطوطات هناك . وبعد عناء وجدت في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة مجلس الوزراء في اسطنبول Baskbkanlik Osmanli Arsiv بعض الوثائق والمعاهدات العثمانية الهامة منها مايتعلق بالامور التالية:

١- وثائق المشروطية الاولى التي صدرت في عهد السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٢٩٤هـ .

٢- معاهدة سان ستيفانو سنة ١٩٧٨م .

٣ - معاهدة برلين سنة ١٨٧٨م .

٤ - وثائق المشروطية الثانية التي صدرت في نهاية عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦هـ .

اضافة الى بعض المخطوطات والكتب النادرة التي أثرت البحث في معظم أبوابه .

ثم عرجت في طريق عودتي الى سوريا ثم الاردن حيث كانت المحطة الثانية للرحلة ، فالقاهرة حيث حصلت هنا على مجموعة هامة من الكتب والمذكرات التي أعانتني في الدراسة وبددت الخوف والقلق الذى كان ينتابني من عدم الحصول على المادة العلمية ، ولكن ما أسعدني حقا هو حصولى - عندما واصلت السير الى لندن ،و عثورى على بعض الوثائق الهامة في أرشيف السجلات البريطانية العام Public Record Office هذه الوثائق أثرت موضوع الغزو الفكرى وغطت مادته العلمية في كثير من الجوانب الهامة فأغنتني عن بعض المراجع لولا الاستئناس بها ،لان بريطانيا تتجسس على فرنسا وروسيا ، فنقلت نشاطهم ونفوذ هذه الدول وماكانت تجنده لغرض بسط نفوذ تلك الدول على بلاد الشام ، وما يملى عليها لتنفيذه وهو ماتعرضنا له في متن الرسالة .

فكل تلك الوثائق والمعاهدات والمصادر والمراجع التى سنذكرها في قائمة ثبت المراجع في آخر هذا البحث حصلت عليها من تلك البلاد، وقد فتحت هذه المادة العلمية أمامي مجال البحث والاستقصاء ودراسة ماتوفر لي من مادة علمية ، فوقفت أمامها ساعات طويلة أقرأها وأحللها وأستنبط الحقائق منها بكل تجرد وبكل حذر واضعا أمامى أن تلك الامور احدى مهام المؤرخ الفاحص الباحث عن الحقيقة المجردة ، وأخذت بعد جمع المادة الكتابة في الموضوع حسب الخطة الموضوعة له .

وتحتوى خطة الرسالة على مقدمة وخمسة فصول لتعالج نقاط البحث . فالمقدمة تتحدث عن طبيعة الدولة الاسلامية وفتوحاتها في آسيا الصغرى وشرق وجنوب أوربا تدفعها الى ذلك روح الجهاد الاسلامي، لفتح المدن البيزنطية ونشر الاسلام لذلك كان استمرار الجهاد أحد أهداف قادة الدولة ،وهذا

ماتحقق في الفصل الأول حيث بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وتماسكها بفضل من الله وتوفيقه ثم باعتمادها على تطبيق النظم الاسلامية . وقد عرف المؤرخون هذه الفترة بعصر عظمة الدولة ، أو عصر السلاطين العشرة الأوائل . وكان من ركائز هذه القوة هو صلاح العناصر الثلاثة السلطان والشيخ والجندى واعتمادهم على الاسلام قلبا وقالبا مما جعل الدولة قوية ، وهذا ماجعل السلطان محمد الفاتح يتطلع بنظره لفتح القسطنطينية مركز ومعبر الصليبية الى الاراضي الاسلامية لمحاربة الاسلام . وقد استطاع محمد الفاتح فتح القسطنطينية فثار غضب الصليبية ، ولم تهدأ الا عندما دبرت اغتياله بواسطة طبيبه اليهودى الذى اعتنق الاسلام لأجل هدف القضاء على هذا السلطان المجاهد.

أما الفصل الثاني فقدجاء الحديث فيه عن الوسائل التي أدت الى تسرب الخلل الى السلاطين وهيئة العلماء والى الجيش المحارب ( الانكشارية ) في عصر الدولة العثمانية الثاني ،مما أدى الى التوقف والركود بعد أن بلغت الدولة شأوا رفيعا من النصر والاتساع ، وبسطت نفوذها على ثلاث قارات ، أدى الى انكماش الدولة وتدهورها منذ نهاية السلطان سليمان الأول حيث تعاقبت الهزائم على جيش الدولة في ميادين حربية عديدة مما أعقبه عقد المعاهدات الواحدة تلو الأخرى والتي عجلت في ضعف الدولة ،ففقدت الدولة بعض ممتلكاتها في جنوب أوربا ، وذلك لضعف السلاطين وانغماسهم في حياة الترف وتعسف الولاة وحماقة القادة وعدم استطاعتهم حل المشكلات بحكمة ودراية من اجل اخراج الدولة الى بر الامان وتخليصها من هذه الأزمات ودراسة وضع البلاد وايجاد طرق العلاج لها في الحال. ولكن استمرار الدولة على هذا الوضع جعلها حقلا للغزو الفكرى الاوربي بسبب عوامل امتدت الى الفصل الثالث ، وهي تطورات او عوامل الغزو الفكرى في التاريخ الأوربي الحديث والمتمثلة في العلمانية والقومية والحركة الدستورية ،فقد تسربت هذه الأفكار والأطماع عن طريق الثورة الفرنسية الى ممالك الدولة العثمانية في أوربا ،مما أفقدها بلاد اليونان ثم تلتها

الحركة الدستورية التي اضطربت بافكارها دول البلقان ، الصرب والافلاق والبغدان والجبل الاسود ، طلبا للاستقلال ، فأخذت في الثورة رغبة في الاستقلال عن الدولة العثمانية ، وكانت تساندهم روسيا حتى نالت استقلالها في معاهدة برلين سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م .

وفي الفصل الرابع تعرضت الخطة لمظاهر الغزو الفكرى ، الذى أخذ يتفاقم منذ الحرب الروسية التركية المسماة بحرب القرم (١٢٦٩-١٢٧٢هـ/ ١٨٥٣-١٨٥٥م) وما انتهت اليه من عقد معاهدة باريس سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م ، تحت اشراف فرنسا وبريطانيا وهي دول معادية للاسلام ،ونتيجة لابرام هذه المعاهدة وقعت الدولة العثمانية في منزلق الاصلاح ، ثم الحقت خط كلخانة سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م بالخط الهمايوني سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م وتبعه انشاء المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية ، هذا الحدث هو بداية انهيار التشريع الاسلامي ، حيث أخذ الغزو يتفاقم حتى خلع السلطان عبدالحميد الثاني بواسطة حزب الاتحاد والترقي وبالتعاون مع الصهيونية والماسونية ، وتم نفيه الى سلانيك سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بعد أن أعيت أوربا الحلول العسكرية بسبب القوة والتماسك اللذان اكسبهما الاسلام للدولة العثمانية .

أما الفصل الخامس والأخير فقد جاء بتقييم جديد لدعوة التوحيد والاصلاح بعد أن هيأ الله لها دعاة صدقا ،قاموا بصد الموجات والتيارات الملحدة الوافدة الى شبه الجزيرة العربية وقاوموها بقوة ايمانهم واسلامهم وعقيدتهم بمحاربة أعداء الاسلام فجاهدوا في سبيل الله لنشرها في البلاد المفتوحة . وبالرغم من الأزمات التي تعرضوا لها فانها لم تزدهم الا ثباتا على دعوتهم السلفية التي استمرت على مر عصور الدولة السعودية وسوف تظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأخيرا اختتمت الفصول بالخاتمة والنتائج التي توصلت اليها خلال هذا البحث .

أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت بتقديم اضافة جديدة للعلم وطلابه اسهاما منى في دراسة جزء من عالمنا الاسلامي ، اسهام المتواضع لخدمة وطنه الوفي الغالي ٠

وفي هذه المناسبة لايفوتني أن أنوه بجهود المشرف السابق الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف البحراوى ، الذى أشرف على هذه الرسالة مايقارب السنة ، وقد أعطاني من وقته الكثير في سبيل مناقشة كثير من المواضيع حتى استقر الرأى الأخير على اختيار هذا الموضوع ٠ ولايسعني في هذا المقام الا أن أدعو له بطول العمر والبقاء وأن يجزيه الله عنا خير الجزاء ٠ ولاستقالته حول اشرافي الى سعادة الأستاذ الدكتور ابراهيم صغيرون الذى لم يأل جهدا في متابعة الاشراف وتقديم النصح حتى استقال٠ ومن ثم حول الاشراف الى أستاذنا الاستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الله بن دهيش ٠

وختاما أرى من واجبي في هذه المناسبة أن أتقدم بالشكر الجزيل الى كل من قام بمساعدتي في اجتياز هذه المراحل لاخراج هذا البحث الى حيز الوجود ، فأخص بالذكر جامعة أم القرى ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، وقسم التاريخ الاسلامي ، وقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ومكتبة الجامعة المركزية ٠ وكذلك القائمين على الارشيف العثماني في اسطنبول والقائمين على أرشيف السجلات البريطانية العامة Public Record Office والى كل من مد لي يد المساعدة ٠

وأخص أستاذى المشرف سعادة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الله ابن دهيش الذى قدم لي كل دعم وخصنى بعلمه الغزير وتوجيهاته السديدة ، فقد أعطاني من وقته وجهده الكثير غير مقتصر على المكان والزمان ، ولم يبخل عليّ فقد فتح لي داره رغم مشاغله الكثيرة ، وعلى حساب راحته الشخصية ، وكانت لملاحظاته القيمة خير معين لاخراج هذه الرسالة ٠ فاليه أقدم شكرى وتقديرى بالجميل والعرفان ، جزاه الله عنا خير الجزاء ٠

والى الأستاذين الفاضلين أعضاء لجنة الفحص والمناقشة .

راجيا من الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأسأله أن يوفقنا لخدمة هذا الوطن الغالي الذى نكن له كل حب وتقدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وهو الهادى الى سواء السبيل ...

...

# المقدمـــة : طبيعة الدولة العثمانية

أ - نشـأة الدولـة

بـ - الجهاد والفتح ونشر الإسلام

## أ – نشأة الدولـــة :

تؤكد المصادر التاريخية أن أول من فكر في فتح الأناضول هم السلاجقة ، ففي سنة ٤٠٦ هـ الموافق ١٠١٥م جرد سلجوق أوغلو أول حملة على الأناضول ، تعرف فيها على مدى قوة الامبراطورية البيزنطية ، وفي هذه الحملة هزم سلجوق الجيش البيزنطي في باسينلر ( Pasinler ) قرب مدينة أرض الروم ، وأسر القائد العام لباريد ( Liparit ) ، فأرسل الامبراطور البيزنطي فدية الى الخاقان الأكبر أرطغرل بك السلجوقي من أجل اطلاق سراح القائد البيزنطي المذكور ، الا أن ارطغرل أعاد الفدية ووعد باطلاق سراح لباريد ( Liparit ) مقابل اعادة فتح الجامع الذى أغلق في القسطنطينية لاقامة الشعائر الاسلامية للمسلمين المقيمين هناك، وقد استجاب الامبراطور البيزنطي لمطالب أرطغرل بك وأمر باعادة فتح الجامع المذكور وأصبحت تقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم ارطغرل بك بعد اسم الخليفة العباسي في الخطبة (1) .

وتلى ذلك قيام ملوك السلاجقة وأمراء الأتراك بترتيب الغزوات على الأناضول سنويا على وجه التقريب للتقدم في فتوحاتهم نحو الغرب (2) للدفاع عن الحدود الاسلامية ضد الامبراطورية البيزنطية ، حتى كانت المعركة الحاسمة التي انتصر فيها المسلمون عام ٤٦٤ هـ الموافق ١٠٧١م • على جموع البيزنطيين المحتشدين قرب بحيرة وآن ( Van ) شرقي تركيا والتى عرفت في التاريخ باسم معركة ( ملازكرد ) (3) حيث هزم فيها جيش بيزنطه وأسر

---

(١) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ( تركيا ، استانبول ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل : ١٩٨٨م) ، ج ١ ، ص ٦٥-٦٦ •

(٢) يلماز اوزتونا: المصدر السابق ، ص ٦٦ •

(٣) ملاز كرد: احدى المعارك الحاسمة في التاريخ الاسلامي التي أسفر عنها تحول منطقة الأناضول الى أراضي اسلامية يعيش عليها شعب مسلم ، كما تعد هذه الواقعة أيضا المنطلق الاول لتأسيس الدولة الاسلامية في آسيا (=)



امبراطورها رومانوس الرابع ( Romanos Diogenes )، واكتسب الزعيم التركي المسلم آلب أرسلان في هذه المعركة شهرة واسعة عمت كافة أرجاء العالم الاسلامي .

وعلى اثر ذلك استطاعت القبائل التركمانية المسلمة تثبيت أقدامها في بلاد آسيا الصغرى فنزلت في شرق ووسط منطقة الأناضول ، وكان من ضمن تلك القبائل التي دخلت الأناضول وسكنته قبيلة ( قابي ) وهم أسلاف العثمانيين (١) .

وعندما ظهر المغول من الأقصى الشرقي لآسيا بزعامة جنكيزخان ومعه نحو خمسين ألف مقاتل في حوالي عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م أخذوا يتقدمون نحو الغرب فاحتلوا في طريقهم عددا من الممالك الاسلامية وأذاقوا أهلها ويلات من الدمار والقتل والنهب فقتلوا الأبرياء ونهبوا ودمروا المدن والمزارع (٢) .

لهذه الأسباب هاجر سليمان شاه أحد ملوك تركستان وجد آل عثمان من وطنه ماهان تحت ضغط المغول ، فاتجه غربا نحو آسيا الصغرى بقبيلته

---

(=) الصغرى وبلاد الروم الصليبية . كما يمكن النظر اليها كذلك على أنها كانت الحادثة التي هيأت الأسباب لولادة الدولة العثمانية
- يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٧ .
- زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، (الناشر دار الفكر العربي ) ، ص ٥١ .

(١) على حسون : العثمانيون والروس ، (الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) ، ص ١٧ .
نبيل رضوان : جهود العثمانيون لانقاذ الأندلس واسترداده . (رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى ، تحت الطبع ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ) ، ص ٨ .

(٢) - ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، (الطبعة الأولى ، مطبعة عموم الأوقاف ، ١٣٢٣/١٩٠٥م) ، ص ٣٤ .
- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، (الطبعة الأولى ، مصر ، طبع بالمطبعة الأميرية ، ببولاق : ١٣١٢هـ) ج ١ ، ص ٤٨٣ .

العظيمة البالغ عدد محاربيها ألفي فارس ، الى الأناضول في أوائل القرن السابع الهجري ، الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي ، فأقام بمدينة أخلاط [١]، فلما انتشر التتر واقتربوا من المدينة هاجروا منها الى آذربيجان [٢]، فهناك تقاتل مع المغول ،فانتصر عليهم وغنم منهم غنائم كثيرة [٣] . ثم عاد سليمان شاه راجعا الوطنه الأصلي عن طريق حلب ولما وصل في طريقه الىنهر الفرات ، وأمام قلعة جعبر حاول مع أولاده عبور النهر فغلب عليهم الماء فسقط سليمان بالنهر وغرق في الحال وكان ذلك في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م ، فأخرجوه الذين معه ودفنوه حول قلعة جعبر [٤] ، وكان لسليمان أربعة أولاد وهم سنقورزنكي ، وكون طوغدي، وأرطغرل ،وكوندوز اختلفوا بعد وفاة والدهم ، فمنهم من اختار متابعة السير الى بلاده [٥]، ومنهم من فضل البقاء مع أرطغرل بن سليمان شاه .

---

(١) أخلاط : بلدة في شرق تركيا الحالية بالقرب من بحيرة وآن في هضبة آرمينيا.
- أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،(الطبعة الأولى ، بيروت ،دار الشروق : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ص ١٧-١٨.

(٢) أحمدجودت باشا : تاريخ جودت ، ترجمة،عبدالقادر افندى الدنا ، (بيروت ، طبع في مطبعة جريدة بيروت ،١٣٠٨ هـ) جـ ١ ، ص ٣٢.،
ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ٣٤.

(٣) السيد أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، (القاهرة ،الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م) جـ ٢ ،ص ١١٠.

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ،جـ١ ، ص ٤٨٣ ،
أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢.
ابراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٣٤ ،
أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ،ص ١٨.
أحمد ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ( الموصل ، طبع بمطابع جامعة الموصل ، مديرية مطبعة الجامعة )، ص ١١ .

(٥) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ،ص ٣٤.

الذى اختار السير الى الأناضول مع أربعمائة أسرة من قومه يقدرون بحوالي أربعمائة وأربعين فارسا ، ونزلوا في طريقهم ( بسرمه لو وباسين ) وضربوا بهاخيامهم (١) .

ولما لم تكن تلك المناطق أو الجهات غير صالحة وموافقة لسكناهم أرسل أرطغرل ولده صاروباتي بك (٢) ، الى سلطان قونيه علاء الدين السلجوقي يطلب منه الحماية ويستسمحه أن يقطعه أو يمنحه هو وعشيرته بعض الأراضي الخصبة ، فاقطعه السلطان أراضي كان بها مايلزمهم من الدفء شتاء والمراعي لمواشيهم صيفا في منطقة قريبة من أنقرة (٣).

وبينما هم يسيرون في الأناضول لمحو جيشين مشتبكين يقتتلان قتالا عنيفا دون أن يعلموا شيئاعن هويتهما ، وكان أحد الجيشين قليل العدد وغير متكافئا مع الآخر ، فما لبثوا أن تدافعوا الى نجدة الجيش الضعيف بدافع النخوة ونصرة الضعيف الملهوف (٤) ، وتبين فيما بعد أنه جيش الأمير علاء الدين سلطان قونيه احدى الامارات السلجوقية التي تأسست

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ،ص ٣٤ ٠.
أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨ .

(٢) اسمه : ساوجي ، وقد توفي وهو عائد في الطريق الى أبيه .
- ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤ .
- أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ،ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٣.

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨ ،
اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٣.
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقي : ( الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النفائس ،١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م)، ص ١١٥ .
- ابراهيم خليل أحمد : تاريخ الوطن العربي فيالعهد العثماني ، ص ١١ ،١٢.

عقب انحلال دولة آل سلجوق الروم سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م عهد اليه فتح الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى (١)، على حين كان الجيش الآخر مغوليا ، وتذهب بعض الروايات الى أنه بيزنطيا (٢) . كما يذكر صاحب كتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية أنه في أواخر القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الثالث عشر الميلادى، تصادف وجود فرقة من المغول كانت تحارب عساكر السلطان علاء الدين في أثناء مرور أرطغرل في تحركاته نحو غرب آسيا الصغرى فهجم بفرسانه على الجيش المغولي فهزمهم شر هزيمة ، وربما يعني ذلك أنه كان على معرفة تامة بعلاء الدين ولذلك نراه ينقض لنجدته ضد المغول . (٣)

ومما يؤكد ذلك ، الرواية التي أوردها يلماز اوزتونا والتي نوردها هنا باختصار حيث أشار الى هذه الحادثة بقوله " إن ارطغرل من مواليد سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م وبذلك يكون عمره بحلول سنة ٦٢٨هـ /١٢٣٠م ، ٤٠ سنة وهي سن النضج . وقد كانت منطقة أذربيجان في تلك الفترة ميدانا فسيحا لاحدى أكبر الحروب في القرون الوسطى ، حيث تقابل جيشان لأخوين سنيين على المذهب الحنفي ، عندها اجتاز السلطان جلال الدين سلطان الترك الشرقيين ، والآخر سلطان خرزم - شاهي ، الذى طرده المغول من أراضي أجداده في تركستان التي هي حدود سلطنة تركيا ، ودخل الأناضول التابعة للسلطان علاء الدين ، وأخذ يتقدم فيها غير مبال بنصيحة السلطان علاء الدين ، والتقى بجيش علاء الدين الأول قرب اذربيجان

---

(١) لما سقطت دولة السلجوقيين تجزأت أملاكهم في بلاد الأناضول الى عشر امارات ( قرة سي - صاروخان - آيدين - تكه - الحميد - القرمان - وكرميان - وقسطموني - ومنشأ- وقونيه ) ،ضمت فيمابعد الى الدولة العثمانية .
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،حاشية رقم (٢)ص ١١٥.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ١٨.

(٣) ابراهيم بك حليم: التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية ، ص ٣٤.

حيثانكسر وترك أراضي الدولة التركية وابتعد عنها" [١] .

ومن هنا تبدأ قصة كيفية اتصال أرطغرل بن سليمان شاه بخدمة علاء الدين .

ويظهر أن علاء الدين الأول كان في حاجة الى عدد كبير من المحاربين للانضمام الى الجيش الأناضولي ، ولذلك انضم اليه عدد كبير منهم وكان من بين هؤلاء الملبين لهذه الدعوة أرطغرل بن سليمان شاه وعشيرته قابي، حيث شاركوه في حرب ياصي جمن Yassi Chamen وهي حرب مهمة في التاريخ التركي [٢].

وعلى الرغم من أن هؤلاء المؤرخين استقوا معلوماتهم من الحوليات العثمانية القديمة الا أنهم لايزالون في خلاف عميق حول قيمة هذه الروايات التاريخية فريق منهم اعتبر هذه الحوليات حقائق ثابتة ،دونت بمعرفة رواة معاصرين لأحداثها ، أما الفريق الآخر فقد ألقى عليها ظلالا كثيفة من التشكك فيها [٣] .

وعلى أى حال فقد اتفق المؤرخون جميعا على أن أرطغرل قد أسدى خدمات جليلة للسلطان علاء الدين ، تلبية لدعوته أو الانضمام الى جانبه مصادفة لنصرة الضعيف في حربه مع المغول أو البيزنطيين .

فقد استحق بعدها أن يكافئه علاء الدين على نجدته ومساعدته له بعمله البطولي ، فأقطعه عدة أقاليم [٤] تقع بجهتي

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية ،جا ، ص٨٦.
(٢) يلمازاوزتونا : المصدر السابق .
(٣) عبدالعزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،(القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة : ١٩٨٠م)،جا ، ص ٣٣.
(٤) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٥ .
زاد عبدالعزيز الشناوى: أن البقعة تشمل المنحدرات الشرقية من جبال طومانيج وارمني Ermeni يقضي فيها افراد القبيلة فصل الصيف وسهول سكود Soegud يقضون فيها فترة الشتاء ، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٤. حاشية رقم (١).

طومانيج Toumandji واسكشهر[١] . وكان ذلك سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م [٢] في محاذات بلاد الروم غربي بلاد السلاجقة[٣] أو بمعنى آخر على الحدود البيزنطية ليتمكن من صيانة الحدود وتوسيعها نحو الغرب ، فمنح السلطان السلجوقي أرطغرل غازى لأمر أمير بني جوبان أى الأمير الأكبر للقطاع الشمالي من الحدود البيزنطية ، وهكذا استوطن أرطغرل بك وعشيرة قابي في القسم الشمالي - الغربي من الأناضول وذلك في حدود عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م. على أرجح الأقوال .

وتقدرمساحة هذه الاقطاعية بحوالي ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ كم٢ .

وهكذا تم وضع حجر أساس الدولة العثمانية في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م[٤]، وصار لايعتمد في حروبه مع جيرانه الا عليه وعلى رجاله ، وكان عقب كل انتصار يقطعه أراضي جديدة ويمنحه أموالا جزيلة ، ثم لقب هو وقبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائمة في مقدمة الجيوش ، ولتمام النصر على يديه[٥] وفي الوقت نفسه ظفر بلقب " أوج بكي " أى محافظ الحدود ، وكان منح هذا اللقب يتمشى مع التقاليد التي درجت عليهادولة السلاجقة وهو منح أى رئيس من رؤساء العشائر يعظم أمره ، ويلحق به عدد من العشائر الصغيرة لقب محافظ الحدود[٦]، وهذا مما أتاح

---

(١) اسكي شهر : أى المدينة القديمة ، وهي مدينة تقع في جهة الغرب لأنقرة، أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٨.

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج ١ ، ص ٤٨٤.

(٣) على حسون : الدولة العثمانية ، ص ١٥.
، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٨

(٤) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ٨٦ ، ٨٧.

(٥) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٥.

(٦) عبدالعزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج ١ ،ص ٣٤.
، أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦.
، ابراهيم خليل أحمد: تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، ص ١٢.

لارطغرل فترة سلام طويلة استطاع خلالها أن يوطد حكم العشيرة على الأراضي التي أوكل اليه أن يحكمها (١) .

غير أن أرطغرل بن سليمان شاه كان ذا طموحات واسعة ، فهو لم يقنع بالمنطقة التي أقطعها له السلطان علاء الدين الأول ، ولم يقتنع أيضا باللقب الذى منح له ولا ولن يقنع بمهمة المحافظة على الحدود فقط ، بل شرع في تحقيق طموحاته ، وهي القيام بالفتح الاسلامي ومواصلة نشر الاسلام في الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى والتابعة للامبراطورية البيزنطية وذلك لأن تلك المناطق كانت تعاني الأمرين من الهجمات الصليبية المعادية للاسلام من جانب الامارات المسيحية هناك .وبتوفيق من الله ونصره نجح أرطغرل في تحركاته فضم للمنطقة التي كان يحكمها اسكى شهر(٢) مناطق جديدة هي المناطق المسماة آنذاك سلطانية اوصبراجق من ولاية قونية .

وقد تعددت فيما بعد الحروب بين السلطان علاء الدين والمغول الذين استولوا على قلعة كوتاهية ، فقام السلطان بتفويض أمر محافظة هذه القلعة المذكورة الى أرطغرل ، فاستردها بعد حروب شديدة وقتال عنيف مع المغول ، وبعد هذه المعركة علا وسما نجم أرطغرل عند السلطان علاء الدين ، ولم يزل في خدمة السلطان وطاعته مما جعل السلطان يزداد به اعجابا حتى توفي أرطغرل سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١هـ بمنطقة سكود(٣) التي اتخذها مقرا له فدفن فيها(٤).

---

(١) احمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٦.

(٢) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٣٤ ،
أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦.

(٣) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج١ ، ص ٤٨٤.

(٤) عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤.

ولما بلغ السلطان علاء الدين خبر وفاته حزن حزنا شديدا ، وعين مكانه في الحال أكبر أولاده وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه [١]، مؤسس الدولة العثمانية [٢] ، والذى اليه تنسب الدولة والأمة فسميتا باسمه [٣] ، ولكي يصبح قائدا مستقلا على منطقة الحدود السلجوقية فقد اقتضت التقاليد الحدودية أن يحرز عثمان نصرا كبيرا على المسيحيين يؤهله لان يتلقى لقب البكوية من السلطان السلجوقي ، وفي سبيل ذلك سارع عثمان وسار بقواته غربا وحقق انتصارات كبيرة على البيزنطيين فاستولى على قلعة قرة فيون [٤] وحينما رآه علاء الدين في حزمة وجهاده مقتفيا سيرة والده في الفتح والجهاد مده بالأموال والامدادات وحفه بالرعاية السلطانية حيث أرسل اليه تعظيما لشأنه وكفاءته الحربية شارات السلاجقة وهي الراية البيضاء والخلعة والطبل [٥] ، وكتابا تركي العبارة معلنا فيه استقلال عثمان ، ثم أقطعه كل مافتحه من الأراضي وكل ماسيفتحه من أراض جديدة وكان ذلك عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩م. ولما ضرب الطبل بين يدى الأمير عثمان بك نهض قائما على قدميه تعظيما للسلطان علاء الدين .

وقد جرت هذه العادة بأن يقوم السلطان عند سماعه الطبلة تعظيما وتذكارا حتى أمر السلطان محمود الثاني في سلطنته بابطال هذه العادة [٦].

---

(١) شاه : معناها ملك ،ولكن اذا جاء بعد الاسم فيعني السيد .
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٥ ، حاشية رقم (١) .

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ٢ ، ص ٤٨٤.

(٣) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٤٠.

(٤) Halil Inalcik:The Otoman Empire, P. 55.

(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ،ص ٤٨٤ . ،
Hilil Inalcik: op.cit., P.55.

(٦) اسماعيل سرهنك: المصدر السابق ،ج ١ ، ص ٤٨٤.
Hilil Inalcik: op. cit., p.55.

ولقبه السلطان علاء الدين بلقب بك ، وسمح له بأن يضرب السكة باسمه ويذكر اسمه على المنابر بعد اسم السلطان [١] في خطبة الجمعة . وهذا العمل من علاء الدين يعتبر بمثابة اظهار شرعية امارة عثمان على الحدود الاسلامية المسيحية [٢] .

فصار عثمان بهذه الامتيازات يملك صلاحية السلطان ولا ينقصه منه الا اللقب [٣] ، ونظرا لانتصاراته العسكرية الباهرة على البيزنطيين فيما بعد فقد منحه السلطان علاء الدين لقب " عثمان الغازى حضرتلرمرزبان عاليجاه عثمان باشا " أى " حضرة عثمان الغازى ،حارس الحدود ، العالي الجاه ،عثمان باشا "[٤] . ولاشك أن هذه الانتصارات كان لها في الواقع أعظم الأثر الذى جعل عثمان يظهر على مسرح الأضواء التاريخية [٥] .

وبينما كان شأن العثمانيين يسير فى الصعود والارتقاء ، اذ أغار غازان التتار سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ هـ بجموعه على سلطنة قونية ،وفي هذه الغارة قتل سلطانها الأمير علاء الدين آخر ملوك السلجوقيين[٦] فانقرضت

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ، ص ٤٨٤ .

(٢) Hilil Inalcik: The Ottoman Empire, P. 55.

(٣) محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٨ .

(٤) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٣٩-٤٠ .

(٥) Hilil Inalcik: Op. cit., p.55.

(٦) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ،ج ١ ، ص ٣٩-٤٠ .

السلطنة السلجوقية ولم يكن للسلطان ذرية فاجتمع وزراء الدولة وأعيانها وقرروا بالاجماع أنه لايليق للسلطنة سوى عثمان الغازى ليحفظ للاسلام عزته [١] . فعرضوا عليه هذا الأمر فأجاب طلبهم [٢] ، ويذكر احمد جودت باشا في تاريخه أن الدولة السلجوقية انقرضت في عام ٦٩٩ هـ حيث قام امراؤها وولاتها بالاستقلال ، الا أن عثمان استطاع أن يؤلف قلوبهم عليه ، فخطب له باسمه في يكي شهر المتابعة له [٣].

فانفتح المجال أمام عثمان بن ارطغرل بن سليمان شاه ، فقام باستئثار معظم المقاطعات والأراضي التي كانت تحت حكم السلطان علاء الدين [٤] ، فأعلن قيام امارته [٥] ولقب نفسه (بادشاه آل عثمان) ، معلنا بذلك ولادة امارة بني عثمان ، وجعل مقر حكمه يكي شهر [٦]، فقام بتحسينها وتحصينها [٧]، ثم اتخذ الراية البيضاء ( راية السلاجقة )

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،جا ،ص ٤٨٤-٤٨٥.،
محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية ،ص ١١٨.
عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٣٩- ٤٠.

(٢) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ٣٤.
(٣) تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٣٧.
(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١١٨.
زياد أبوغنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ( الطبعة الثانية ،عمان ،دار الفرقان للنشر والتوزيع ،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص ١٩.
(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٥.
اورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده ، ( الطبعة الاولى ، الكويت ،دار الوثائق ،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ، ص ١٦.
(٦) يكي شهر : تلفظ الكاف هنا نونا فهي اذن : يني شهر ومعناها البلد الحديث ويكتبها الاتراك الان هكذا Yenisenir وتقع الى الشمال الشرقي من بورسه .
محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١١٨ ، حاشية رقم (٤).
(٧) محمد فريد بك : المصدر السابق نفسه ، ص ١١٨.

وافعاعليها الشارات التي لاتزال حتى اليوم تشكل العلم التركي المؤلف من الهلال والنجمة [١] .

ولهذا اعتبر استقلال الدولة أو نشوءها من نهاية انقراض الدولة السلجوقية سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩/٩/٢٨م [٢] . وهكذا يعتبر عثمان بن أرطغرل ابن سليمان شاه المؤسس الأول للدولة العثمانية [٣] .

وعندما أعلن السلطان عثمان استقلال دولته سنة ٦٩٩ هـ أتاه علماء وأعيان وأمراء الدولة السلجوقية التي انهارت فانضموا اليه بدافع الجهاد تحت لوائه [٤] ، لتصبح هذه الدولة المتنفس الوحيد للحماس الديني للاسلام فجاء كل راغب في الجهاد في سبيل الله لنشر الاسلام ،فاجتذبت هذه الامارة أعدادا من المتحمسين لنصرة الدين الاسلامي ضد المسيحية .

وهذا مايؤكد أن الدولة العثمانية كانت اسلامية المنطلق والهدف [٥] فكان الغزو والجهاد عاملين مهمين في تأسيس وتطوير هذه الدولة العثمانية الفتية .

فالمجتمع في امارات الحدود قد صاغه اطار فكرى خاص أشبعه بفكرة الجهاد المستمر والفتح الدائم في سبيل اعلاء كلمة الله حتى تشمل

---

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥.

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٥. ، آورخان محمد علي : السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، ص ١٦.

(٣) زياد أبوغنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ١٨ - ١٩.

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص٤٨٦ .

(٥) زياد أبوغنيمة : المرجع السابق ،ص ١٩-٢١.

العالم بأسره [١] . فقد كان التركمان الرحل القادمون الى الأناضول القلب النابض في المقاطعات الحدودية العثمانية . هؤلاء التركمان جاهدوا بتلهف في سبيل النصر أو الشهادة . وقد تربوا تربية اسلامية مليئة بالقيم الروحية المبنية على حب الجهاد والعمل على نشر الاسلام في البلاد المسيحية وصد الغارات الصليبية المعادية للاسلام والأمة الاسلامية [٢] .

ويتجلى هذا الاتجاه الديني في سياسة العثمانيين وتشجيعهم الجهاد لنشر الاسلام .

ولقد كان السلطان عثمان بعيد النظر ، حيث وجه فتوحاته نحو الغرب الى بيزنطه المتهالكة باعتبار أن كل فتح يناله منهم سيزيد من قوته ، وفي نفس الوقت تحاشى التصادم مع جيرانه أمراء الأناضول المحيطين به ، وخصوصا امارة القرمان القوية [٣] ، نظرا لأن تلك البلاد وصل اليها الاسلام وقد بدأت فتوحاته الفعلية في القرن الثامن الهجرى الموافق للقرن الرابع عشر الميلادى ،حين الانهيار النهائي لدولة السلاجقة مما أدى الى استيلاء عثمان بك على قلعتي اسكيشهر وقرجه حصار. وفي اسكيشهر بنى مسجدا وعين الموظفين لاقامة شعائر الاسلام وتطبيق الشريعة [٤] ، فأخذ يفتح مناطق جديدة فزحف على ازميد ثم ازنيك فلما لم يتمكن من فتحها عاد الىعاصمته [٥] ، وشرع فيتوطيد سلطته على أساس العدالة ، ثم مالبث أن سير الجيوش للفتح حتى وصلت الى " بيني شهر " وبذلك أصبح على مرمى البصر

---

(١) ابراهيم شحاته حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، (الاسكندرية ، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية :١٩٨١) ص٧٨–٧٩.

(٢) يلماز اوزتونا :تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٨٨.

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٦ – ٣٧.

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ .

من بروسه ونيقية وهما أهم المدن البيزنطية في غرب الأناضول . وما لبثت " ينى شهر " حتى أصبحت عاصمة لبلاده بعد فتحها فتوفرت له فيها قاعدة الانطلاق نحو بروسه ثم الى القسطنطينية ، فمن موقعه الحصين في ينى شهر أرسل عثمان حملاته ضد المدن البيزنطية المجاورة لاستكمال الفتح، فاستولى على كثير من الحصون قبل أن تتحرك جيوش الدولة البيزنطية للدفاع عنها ، وبعد أن دحر الجيش البيزنطي لم يجرؤ البيزنطيون على الخروج من أسوار نيقيه ( ازنيك )[1] ، وذلك لأن الأراضي التي يسيطر عليها عثمان من اسكى شهر الى السهول المجاورة لنيقية وبروسه اصبحت بها امارته والتي تعتبر من أقوى الامارات في المنطقة .

ونتيجة لذلك شعرت بيزنطة بتهديد تلك القوة النامية ، فقرر الامبراطور البيزنطي تركيز اهتمامه وقوته في الجانب البحرى ليمنع وصول العثمانيين الى اراضيه الأوربية . في حين أن عثمان كان يخشى أن يتوقف الفتح العثماني بسبب اغلاق البيزنطيين طريق البحر ،وخاصة لتفوق بيزنطه البحرى، في الوقت الذى لاتملك فيه الدولة العثمانية أسطولا بحريا ، او بمعنى آخر انحصار عثمان في منطقة محدودة ، ربما سيؤدى هذا الانحصار الى ترك أتباعه له للبحث عن أراضي جديدة ،فبدأ عثمان بالفتح في المناطق المجاورة من أراضي بيزنطه فهاجم نيقيه وهزم الجيش البيزنطي في بافيون [2].

وقبيل أن يعزم السلطان على فتح بروسه ، أقام قلعتين بجوارها وعلى مسافة ربع ساعة ، وعين على هاتين القلعتين ابنه الغازى اورخان [3] ، ليتمكن من حصار المدينة [4] ، فأرسل الى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا

---

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٧ .
(٢) زبيده عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى ، ص ٥٤-٥٥ .
(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٩٩ .
(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

يخيرهم بين ثلاثة أمور : الاسلام ، أو الجزية ، أو الحرب . فاسلم بعضهم وانضم اليه ، وقبل البعض دفع الجزية ، أما بعضهم الآخر فقد استعان على السلطان بالتتار [١] ،وطلبوا منهم النجدة ، فلبوا لهم ذلك واجتمعوا لحرب السلطان عثمان ، لكن السلطان لم يعبأ بهم ، فأرسل لهم جيشا جرارا بقيادة ابنه أورخان ، وبعد صدام عنيف بين القوتين استطاع الأخير من تشتيت شمل التتار ومن استنجد بهم ، ثم عاد مسرعا لمحاصرة مدينة بورسه سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م [٢] .

ومما ساعد أيضا في فتح بروسه بسهولة هجوم اورخان على حصن اودنوس الواقع على قمة جبل أولمب [٣]، فدخله عنوة ، وبعد ذلك دخل مدينة بروسه ، بعد فتح كافة ماحولها من الحصون والقلاع ونشر الاسلام بها وقد دام هذا الحصار مدة من الزمن ،حتى أرسل امبراطور القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب ، فانسحب منها ودخلها أورخان ، دخول الفاتحين منغير حرب ولا قتال ، وأسلم حاكمها ( افرينوس ) وأعطى لقب بك ، وصار افرينوس بك من مشاهير قواد المسلمين الذى أسندت له قيادة المعارك فيما بعد [٤] وقد توج فتوحاته بفتح مدينة بورسه سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م [٥].

---

(١) يبدو أن هذه الموقعة تمخض عنها اتفاق بين اوربا الصليبية والمغول ظهرت نتائجه في موقعة أنقره مع السلطان بايزيد الاول كما سيأتي .

(٢) محمدفريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٩.

(٣) أولمب : اسمه بالتركية (اناطولي طاغ) او (كشيش طاغ) وطاغ بالتركية معناه الجبل ،وقد كتب داغ لأن الاتراك يلفظون الطاء بين ( الطاء والضاد والدال) وكشيش : لفظ فارسي معناه القسيس ويسمى هذا الجبل اليوم أولوطاغ ( Uludag ) اى الجبل الكبير .
ـ محمد فريد بك :المصدر السابق، ص ١٢٠ حاشية رقم(١).

(٤) محمد فريد بك :المصدر السابق نفسه ، ص ١١٩-١٢٠ .
ـ عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ( الطبعة الاولى ، مكة المكرمة ،مكتبةومطبعة النهضة الحديثة : ١٤٠٩هـ) ص ٢٨.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ،ص ٣٧.
ـ عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : المرجع السابق ، ص ٢٨.

وعقب ذلك الفتح بلغ أورخان مرض والده فهرول مسرعا اليه ،ولم يلبث أن توفى في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م[١]، فدفن في مدينة بروسه العاصمة الجديدة للدولة العثمانية بعد أن أوصى بنقل جثمانه الى هناك[٢] ، ويعتبر عثمان بك من الرواد الذين أرسوا قواعد دولة اسلامية مترامية الأطراف ، وبدأ السير في طريق النصر ،حتى قيض الله لابنائه وأحفاده أن ينتهجوا خطواته[٣] .

وهكذا حاولنا أن نورد القرائن في كيفية نشأة الدولة العثمانية منذ هجرتها الأولى حتى استقرارها في الأناضول ،كما تبين أن تأسيس امارة آل عثمان هو بعد انهيار ملك قونيه السلطان علاء الدين آخر ملوك السلاجقة وذلك في عام ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩/٩/٢٨م على يد التتار .

ولاحظنا ماصاحب نشأة الدولة في صراعها مع الروم وقوتها التي تحركها روح الجهاد الاسلامي لنشر الاسلام ،وسحق من يقف أمامهم من الروم حتى تم لهم فتح أهم المدن البيزنطية في آسيا ونشر الاسلام بها.

وبما أن عثمان كان شخصية محبوبة وجذابة فقد اتصف بالتسامح، فعندما أرسل الى الروم يخيرهم في الاسلام فقد اختار قسم منهم الدخول في الاسلام طوعا والقسم الثاني اختار دفع الجزية دليلا على أنه دخل طاعة السلطان الاسمية . أما القسم الآخر فقد امتنع ورفع راية العصيان والرغبة في القتال فرأيناه ينهزم بسهولة ،وقد حسن اسلام من دخل من رجال الروم كما أسندت الى بعضهم قيادة الجيش كما مر معنا وكما سيأتي .

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٨٧.
(٢) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج ١ ، ص ٤٣.
(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨.

## ب - الجهاد والفتح ونشر الاسلام :

عقب وفاة السلطان عثمان بن أرطغرل أوص بالملك من بعده لابنه أورخان ثاني أولاده ، لشجاعته واقدامه في الحرب ، ولم يوص به لابنه الكبير علاء الدين ،لميله الى الورع والعزلة ، ومن حسن حظ هذه الدولة عدم معارضة علاء الدين في هذه الوصية ، بل أقدم على قبولها وتنفيذها مقدما الصالح العام على الخاص ، واكتفى بوزارة المملكة ( الصدارة العظمى ) التى قلدها له أخوه أورخان [1] ، بالرغم من الحاح اورخان له بأن يقاسمه السلطة فيما بينهما فلم يقبل علاء الدين احتراما لمشيئة ورغبة والده [2]، فأصبح علاء الدين مختصا بتدبير الامور الداخلية ، واشتغل في اعداد وتأسيس الانظمة والقوانين وبناء الجيش للدولة كما تفرغ اورخان للفتوحات ونشر راية الجهاد على كل البلدان المجاورة اليه [3] . فالدولة منذ تأسيسها دولة اسلامية في المنطلق والراية والهدف [4] .

ويتضح هذا جليا من وصية عثمان لابنه أورخان عند وفاته والتى جاء فيها : " اعلم يابني أن نشر الاسلام ،وهداية الناس اليه ، وحماية أعراض المسلمين وأموالهم أمانة في عنقك سيسألك الله عز وجل عنه "[5] . ثم قال : " يابني انني أنتقل الى جوار ربي وأنا فخور بأنك ستكون عادلا في الرعية ،مجاهدا في سبيل الله لنشر دين الاسلام ". وقال أيضا :

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولية العلية العثماية ، ص ١٢٢.

(٢) حسين لبيب : تاريخ الاتراك العثمانيين ،( القاهرة ،مطبعة الواعظ ، بمصر : ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م ) ،ج ١ ، ص ٩.

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ، أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ،ج ١ ، ص ٣٨.

(٤) زياد أبوغنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك ، ص ٢١.

(٥) زياد أبوغنيمة : المرجع السابق نفسه . ، كامل باشا : تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ،(مطبعة أحمدحسان:١٣٢٧هـ) ج ١ ، ص ١٠.

" أوصيك بعلماء الأمة ، أدم رعايتهم وأكثر تبجيلهم وانزل على مشورتهم فانهم لايأمرون الا بخير ... يابني اياك أن تفعل مالايرضي الله عز وجل، واذا صعب أمر فاسأل علماء الشريعة فانهم سيدلونك على الخير، واعلم يابني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله ، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا ".

وفي هذه الوصية حث الأبناء والمسئولين على الجهاد في سبيل الله حيث قال: " وصيتي الأولى لأبنائي ، ولجميع الأعزاء علي أن لايتركوا الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ،ونشر دين الاسلام الجليل ورفع راية الاسلام عاليا في ربوع العالمين ، وأنني أقول لكم : انني أدعو الله عز وجل أن يحرم من شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، كل واحد فيكم يبتعد عن طريق الاسلام ، ويظلم الناس ويترك الجهاد"(١).

بعد هذه الوصايا التي صاحبت تكوين هذه الدولة والتي تدل على الحث على الجهاد في سبيل الله والعدل بين الرعية ، استلم السلطان اورخان عن والده دولة ليس لها قوانين ولا عملة أو حدود واضحة يحيط بها جيران أقوى منها(٢) .

الا أن التزامه بوصية والده بمواصلة الجهاد قام بفتح بورسه جعله يفكر في نقل تخت السلطنة اليها ، فأصبحت عاصمة الدولة الجديدة للعثمانيين ، والتي صارت من ضمن العواصم التي انتقل العثمانيون اليها عبر تاريخهم(٣)، بعد أن كانت عاصمتهم ولمدة خمس وثلاثين سنة في مدينة

---

(١) زياد أبوغنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ص ٢١-٢٣.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ٣٨

(٣) عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٤٣.

بني شهر[١] . ومن بروسه انطلقت الجيوش العثمانية لفتح مناطق جديدة ونشر الاسلام بها وتحويلها الى مناطق اسلامية[٢] .ذلك لأن الدولة العثمانية دولة قامت على الجهاد في سبيل الله ، فبدأت ثغرا ثم تحولت الى سلطنة بدأت تكتلا عشائريا ، ثم تطورت بسرعة لتتحول الى دولة اسلامية شعارها الجهاد في سبيل الله ، وقد أصبح هذا واضحا منذ بدء قيامها دولة متفرغة لتأييد سلطة الاسلام وعقيدته ، متأهبة للدفاع عنه ، لتأكيد الشعور العثماني بأنهم أمة نذروا أنفسهم لنشر الدعوة الاسلامية ، وأن نشر الاسلام هو الهدف الأساسي لسلاطين بني عثمان[٣].

وما ان استقرت قواعد الدولة ببناء النظم الجديدة المستمدة من النظم الاسلامية التفت أورخان الى الفتوحات[٤]، فزحفت جيوشه لفتح ما بقي من بلاد آسيا الصغرى وبلاد الروم، ففي سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م انطلقت الجيوش العثمانية بقيادة الغازي عبد الرحمن واتجهت الى ازميد التي آل الحكم فيها الى ابنة حاكمها وكانت هذه المدينة تتلقى الامدادات المالية والعسكرية من القسطنطينية ، ولما حاصر الغازي عبد الرحمن كاتبته البنت سرا[٥]، وقامت بارشاده الى الطرق السهلة لفتح القلعة المسماة ايدوس ،وتم فتح القلعة بسببها[٦]، وقام الغازي عبد الرحمن بجمع الغنائم وارسال البنت مع الغنائم الى السلطان اورخان الذى عقد نكاحها على الغازي عبد الرحمن لكونها خدمت وأعانت الدولة .

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٨.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٣٨.

(٣) عبد الكريم مشهداني : العلمانية وآثارها على الأوضاع الاسلامية في تركيا ، ( الطبعة الاولى ،منشورات المكتبة الدولية ، الرياض ،ومكتبة الخافقين دمشق : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٣٤.

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩.

(٥) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤.

(٦) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٨.

ومازال السلطان يتقدم في فتوحاته حتى حضربنفسه سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م وحاصر مدينة نيقوميديا ( ازميد الحالية ) وارسل قرة على والغازى عبد الرحمن وقورالب لفتح قيون حصار وفي أثناء الحرب اصيب قلايون حاكم قيون حصار برصاصة سقط على اثرها ميتا من سور القلعة ،فاستولت الجنود العثمانية على القلعة المذكورة ، وخلال ذلك أيضا سلمت بلاقونية حاكمة ازميد المدينة الى السلطان أورخان ، فأركبها مع جنودها ومن يريد من اهل المدينة السفن ، وأرسل الكل الى القسطنطينية وذلك بناء على رغبتها [١] .

وبهذا العمل جذب اليه قلوب الأهالى لمعاملته لهم باللين والرفق ولم يعارض الاهالى الذين رغبوا في اقامة شعائرهم الدينية وأذن كذلك لمن اراد ان يهاجر باخذ كافة منقولاته وبيع عقاراته مع تمام الحرية في اجراءاته [٢] . وبهذا الفتح صارت حدود الدولة قريبة من خليج القسطنطينية [٣] ، ولم يبق من مدن الروم المهمة في آسيا سوى مدينة نيقية ( ازنيك الحالية ) فحاصرها السلطان وضيق الحصار عليها وعلى أهلها حتى تم فتحها فدخلها بعد سنتين من الحصار وذلك في سنة ٧٣١ هـ/ ١٣٢٩م فسقط بسقوطها نفوذ الروم [٤] ) .

وخلال هذه المعارك غنم العثمانيون غنائم كثيرة ،وكان امبراطور القسطنطينية قد اجتهد من أجل خلاصها [٥] حيث سار بجيشه لاسترجاعها

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ، ص ٤٨٩ .
ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ١٢٤ .
(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٢٤ .
(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ،ص ٤٨٩ .
(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٢٤ .
(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

فالتقى بالجيش العثماني في بلكانون [١]، وكانت النتيجة انتصار الأتراك الذين طاردوا الجيش البيزنطي حتى اسكدار [٢] الواقعة في آسيا [٣] ،على الشاطئ الآسيوى لمضيق القسطنطينية ، فكانت هذه المدينة من المدن المقدسة لدى المسيحيين ، ومن أعظم مدائن تلك الجهات لذلك اتخذها السلطان أورخان مركز لتجمع قواته [٤] .

ونتيجة للانتصارات الكبيرة للقوات العثمانية فقد تخلت بيزنطة عن بذل الجهود الخاصة بتنظيم المقاومة العسكرية في الأناضول ،أو تزويد حاميات ماتبقى لها من المدن هناك ضد الدولة العثمانية وهذا ماجعل دولة السلطان أورخان من أقوى الامارات التركمانية حتى تم اعتبارها زعيمة الجهاد الاسلامي ضد المسيحيين [٥] .

وفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٠م توفى الوزير علاء الدين ابن أورخان ،وحل مكانه الأمير سليمان بن اورخان وزيرا للدولة ،وفاتح مدينة ازنيك المقدسة [٦]، وتلى ذلك بأن استولى اورخان علىماتبقى من البلاد البيزنطية الواقعة شمال غربي الأناضول دون صعوبة [٧]، ومنها بلاد مدرني وكمليك .

---

(١) بلكانون : هذا المكان يدعىالآن " مالتبه ".
انظر : اورخان محمد على : السلطان عبدالحميد الثاني ،حياته واحداثه ، ص١٦.

(٢) اسكدار : هي احدى المناطق الاسيوية لمدينة القسطنطينية .
انظر : اورخان محمد علي : المصدر السابق ،ص ١٦-١٧.

(٣) اورخان محمد على : المصدر السابق نفسه ، ص ١٦-١٧.

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار، جـ ١ ،ص ٤٨٩.

(٥) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٥-٤٦.

(٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٨٩.

(٧) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وخلال تلك المعارك أرسل قيصر الروم جملة من الهدايا للسلطان أورخان طالبا منه عقد الصلح بين الطرفين ، وايقاف المعارك ، وبعد المفاوضات عقدت هدنة بين الطرفين ولمدة عشرين سنة فى عام ٧٣٢هـ/١٣٣٠م.[١]

وبالرغم من تلك الهدنة فان السلطان أورخان كان يطمح لنشر الاسلام في مناطق اوسع ولذلك قام في عام ٧٣٦ هـ /١٢٣٦م بفتح امارة قرة سي[٢]، وضمها الى دولته وذلك لوقوع الخلاف بين ولدى أميرها[٣] ، عجلان بك بعد موته وهي أول مملكة اسلامية من الأناضول[٤]، تعزز بها مركزه وحركة الفتح الاسلامي على شواطىء بحر مرمره كما انه سهل للعثمانيين الوصول الى قلعة الدردنيل في شبه جزيرة غاليبولى مما يسهل عليه العبور الى شرق أوربا حين تسنح أول فرصة له[٥] .

وما ينبغي ملاحظته لتميز امراء بني عثمان الاول انهم لم يشنوا الحرب تلو الحرب من أجل الانتصارات المتوالية والتوسع المستمر ،بل كانت حروبهم من أجل الفتح ونشر الاسلام وبناء حضارة اسلامية عالية ،فما ان ينتهوا من فتح مدينة او منطقة حتى يسارعوا الى تنظيمها ونشر الاسلام والعدل والأمن

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٨٩.

(٢) قرة سي : امارة صغيرة تقع غرب الاناضول جنوب بحر مرمره والى الشرق من بحر ايجه .
- محمد فريد بـاك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٢٤ ، حاشية رقم (١)

(٣) محمد فريد بـك : المصدر السابق نفسه ،ص ١٢٤.
- اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ،ج ١ ، ص٤٨٩.
- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ١٦.

(٤) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٨٩.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ، ص ٤٦.

والمساواة بها ،بحيث تكون الاراضي الجديدة جزءا لايتجزأ من الدولة بكل مقوماتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها من الجوانب الحضارية .

وعلى هذا المنوال جعلوا من آسيا الصغرى قوة فريدة في نظامها ووحدتها بعد أن كانت عبارة عن مناطق تعيش فيها طوائف متفرقة . وبهذا العمل ضمنت استمرارها في آسيا الصغرى وشرق أوربا فترة طويلة من الزمن.[1] وكان اعتمادها بالدرجة الأولى على صهر عناصر السكان في وحدة واحدة وذلك من أجل تماسك الدولة وجعل السكان يعملون يدا واحدة من أجل البناء والتصور على حسب أسس اسلامية قيمة .[2]

وتلت فتح قرة سي فترة عشرين سنة انقضت من غير حرب وفتوح[3]. وقد استفاد اورخان من فترة الهدنة فعمل على الاصلاح الداخلي وذلك بسن الأنظمة ونشر الاسلام والسلام في ربوع البلاد[4] عن طريق بناء المساجد والمدارس وتخصيص الأوقاف للصرف على المنشآت والمرافق العامة ما شهد بعظمة عصر السلطان أورخان وحبه للخير والاحسان والنظام [5] . وفي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م جددت المعاهدة السلمية مع قيصر الروم ،فزاد ذلك من جو الصفاء والمودة بين الدولتين [6] وارتبط السلطان اورخان برباط الصداقة والود مع الامبراطور اندرونيكوس ومن أتى بعده [7] ،ولم يدرك السلطان أورخان أن وراء تلك الهدنة تخطيط من جانب قيصر الروم وأن عقده لتلك الهدنة هو من أجل تدعيم موقفه وتقوية صفوفه وهذا ماحدث فعلا.فماكاد قيصر الروم

---

(١) حسين لبيب : الأتراك العثمانيون ،جـ١ ،ص ١٤ ،
(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧.
(٣) حسين لبيب : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤
(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار من دول البحار ،جـ ١ ،ص ٤٨٩.
 - محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤.
(٥) حسين لبيب : المصدر السابق ، ص ١٤.
(٦) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٠.
(٧) حسين لبيب : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٤-١٥.

يعقد تلك الهدنة حتى أخذ يعمل في الخفاء من أجل تدعيم مركزه وبناء قوته وكان يبطن العداء الشديد للدولة العثمانية وسلطانها ويتحين الفرص للايقاع بالدولة العثمانية لكن لم يجرء على اعلان ذلك الا بعد عشر سنوات من عقد تلك المعاهدة وذلك بعد أن اتحد القيصر مع البنادقة الذين كانوا يهاجمون أطراف الدولة العثمانية من الجهة البحرية (١) فلقد كانت الحروب التي نشبت بين الجمهوريتين البحريتين البندقية والجنوية وشهدها البحر الأبيض المتوسط ،سببا مباشرا لتجديد العداوة بين قوى اورخان وصهره كانتكوزين ، والتي أدت الى استقرار العثمانيين في شرق اوربا ، لأن الجونيين كانوا يملكون الضاحية الاوربية للقسطنطينية وهي المعروفة بغلطة ،فكان البوسفور احدى الجهات التي شهدت اشتباكهم مع أعدائهم البنادقة في القتال ،وكان اورخان يكره البنادقة لان اساطيلهم عبثت بأملاكه الواقعة على البحار ، كما احتقروا المفاوضة معه كأمير ولكنهم كانوا حلفاء لصهره المذكور ، فارسل أورخان جنودا مساعدة الى غلطة لتعضيد الجنويين ونصرتهم على النبادقة العدو المشترك .. وفي الوقت نفسه مد اورخان يد المساعدة الى يوحنا يولوجوز في الحرب الاهلية التي نشبت بينه وبين صهره الامبراطور (٢) للمطالبة بأحقية عرش القسطنطينية .

ففي وسط هذه الاضطرابات ، تمكن السلطان أورخان من اصدار أمره الى ابنه سليمان بالاستعداد والعبور لبلاد الروملي ، فتقدم سليمان بالجيش في سنة ٧٥٧ هـ /١٣٥٦م حتى وصل الى مدينة جناق قلعة بالساحل الغربي لآسيا على مضيق الدردنيل ثم عقد هناك مجلسا مع أشهر قواده ، فاتفقوا على عمل عبارات ( اكلاك ) للعبور بها ،وبعد انشائها عبروا بها الدردنيل ليلا الى ساحل روم ايلى . واستولى سليمان بن اورخان على

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ .

(٢) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ،ج١ ، ص ١٥ .

قلعة جمنك ( Tzyme ) وذلك في سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م [١] وتسمى أيضا حصن ( Zampe ) زميه في الوقت الذى كان فيه كونتاكوزينوس مشغولا بصراعه مع صهره يوحنا بولوجوز. ولهذا السبب لم يستطع التصدى للقوات العثمانية من احتلال هذا الموقع الهام [٢] . ويعتبر هذا العبور بداية للتاريخ البحرى للدولة العثمانية . ففي تلك الأثناء ظهرت بعض الاضطرابات والمنازعات بين أعضاء العائلة الامبراطورية في القسطنطينية ، بعدوفاة اندرنيكوس الثالث امبراطور دولة الروم في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م . فكان الوارث لعرش الدولة هو يوانيس يوحنا [٣] ، باليولوجوس وكان حديث السن عند ذلك قام ناظر قصر الامبراطور المدعو كانتاكوزينوس [٤] وآخرون، يطلبون الاستئثار بالملك ، فطلب انتاكوزينوس من السلطان أورخان المساعدة

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧.

(٣) يوحنا بولوجوز : هو يوحنا الخامس امبراطور بيزنطة من سنة ١٣٤١-١٣٩٠م . وكان ابن تسع سنين حينما توفى والده الامبراطور اندرونيكوس الثالث ، فحصل صراع على السلطة ففاز من جراء ذلك رئيس وزراء والده (يوحنا كانتاكوزين ) وبالرغم من زواج بولوجوز من ابنة رئيس وزراء والده كانتاكوزين المذكور ، الا أنه كان يعمل ضده لاجبارة على التنازل عن وصاية العرش فطلب مساعدة الغرب بعد فتح غاليبولي من قبل العثمانيين ، واعترف بروما وتعهد بانهاء الخلاف بين البيزنطيين واللاتين ، مقابل وعود البابوية بحملة صليبية لدعمه ، ولكن بقي ذلك حبرا على ورق ، وحينما حاول تحصين القسطنطينية ، منعه العثمانيون وهددوه ، وتوفى سنة ١٣٩١ هـ .

- على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٩ ، حاشية رقم (٢)

(٤) كانتاكوزينوس : هو يوحنا كانتاكوزينوس من السلالات الاستقراطية البيزنطية . كان له دور بارز في قيادة الامبراطورية ، فاز من بين المتنافسين على وصاية العرش الامبراطورى البيزنطي ، وذلك بمساعدة العثمانيين بعد وفاة الامبراطور اندرونيكوس الثالث .

- على حسون : المصدر السابق ، ص ١٩ ، حاشية رقم (١).

وزوجه بابنته تيودورا لتقوية أواصر المساعدة ، وعلى ذلك أرسل السلطان أورخان قوة من جيوشه عدة مرات لمساعدته ونجدته حتى مكنه من السيطرة على منافسيه والفوز بعرش القسطنطينية[1] متحديا في ذلك قوى الغرب[2] .

من أجل ذلك قام الروم بعقد حلف صليبي مع المجر والصرب والبلغار والافلاق والبغدان لقتال سليمان لفتوحاته في أوربا اولا وتدخله في أحوال الدولة الرومية ثانيا ،فاستعد سليمان لهذا الحلف الصليبي المتحد وانقض عليهم بجنوده من جبال البلقان وأوقع بجمعهم الهزيمة . ثم قصد جهة بلاد البلغار لتسكين ثورتها واضطرابها[3].

وفي خلال ذلك حصلت أيضا منافسات كبيرة بين ملوك الصرب والمجر والبلغار والافلاق والبغدان آدت الى منازعات عديدة[4] ، ذلك لأن ملك الصرب ( دوشان ) جمع قبائل الصقالبة تحت سلطانه ، وسار بهم الى بلاد البلغار فاستولى عليها وزحف على مدينة القسطنطينية ، فأرسل امبراطور الروم بالقسطنطينية[5] وفدا الى السلطان اورخان يطلب منه الاغاثة والاعانة مرة ثانية ، فأمده السلطان وأرسل له جيشا عظيما بقيادة ابنه

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ، ص٤٩٠.
ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ٣٩.

(٢) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ١٩.

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ،ص ٤٩٠.
ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ،ص ٣٩.

(٤) اسماعيل سرهنك: المصدر السابق ، ص ٤٩٠.

(٥) كانت مدينة رومه وما استولى عليه من الاقاليم المتسعة مشكلة بهيئة جمهورية من ابتداء وجودها الى سنة ٢٩ قبل المسيح فجعلها القائد الشهير ( اكتافيوس Octavius ) حكومة امبراطورية وأطلق على نفسه لقب (أوغسطس) أى السامي القدر . واستمرت هذه المملكة الى سنة ٣٩٥ حيث قسمها الامبراطور (طيودوس بين ولديه الى مملكة رومانية شرقية وجعل مقرها بيزنطة التي سميت فيما بعد بالقسطنطينية وأقام عليها ابنه اركاديوس Arcadius ومملكة رومانية غربية جعل عاصمتها مدينة رومه وأقام عليها ابنه (=)

سليمان باشا لصد غارة ملك الصرب [1] حتى عسكر تحت أسوار القسطنطينية وسكن ذلك الاضطراب [2] بموت ملك الصرب قبل وصوله الى القسطنطينية وبذلك تخلصت القسطنطينية من شره [3] .

ولما نزل العثمانيون بساحل أوربا تأكدوا ضعف مملكة الروم وما آلت اليه من الانحلال ، فأخذ السلطان اورخان سرا تجهيز واعداد الكتائب لاجتياز البحر واحتلال بعض نقاط الهامة على شاطئه الاوربي لتكون مركزا لانطلاق اعمال العثمانيين نحو اوربا ،حتى اذا حانت الفرصة انقضوا لحصار القسطنطينية برا وبحرا ودخلوها فاتحين غانمين [4].

يظهر من هذا خطة اورخان في اتباع سياسة دقيقة مع بيزنطة تسندها القوة العسكرية ولاتميل الى البدء بالاعتداء والمعروفة بسياسة النفاذ الى البحار المفتوحة والوصول الى المضايق [5].

ففي سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧م سنحت الفرصة فاجتاز سليمان باشا أكبر أولاد السلطان أورخان وولي عهده وصدر مملكته مضيق الدردنيل ومعه أربعون من أشجع جنوده تحت استار الظلام حتى وصلوا الى الضفة الأخرى فقبضوا على ماكان بها من القوارب وعادوا بها الى معسكرهم ،فانتقل الجيش الى ضفة أوربا وكان عدده ثلاثين الفا ، واحتل ميناء (تزنب) وساعدهم الله بأن أصاب مدن تراقيا زلزالا شديدا اسقط جزءا من أسوار

---

(=) الثاني (انوريوس Honorius ) ثم سقطت الدولة الغربية سنة ٤٧٦م بسبب اغارة المتبربرين عليها ،واستمرت الشرقية الى أن فتحها العثمانيون عام ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م .
- محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٥، حاشية رقم(١).

(١) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٢٥.
(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ص ٤٩٠.
(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٥.
(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٢٦.
(٥) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،ج ١ ،ص ٩٤.

غاليبولي (١) فدخلها العثمانيون بدون قتال (٢). وكان ذلك في سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨م فاحتج الامبراطور البيزنطي على ذلك دون جدوى ،فكان رد السلطان أورخان أن العناية الالهية قد فتحت أبواب المدينة أمام قواته (٣) . وما لبثت غاليبولي أن أصبحت أول قاعدة عثمانية في أوربا.

وحين انفرد باليولوس ( حنا الخامس ) بحكم بيزنطه قام باقرار فتوح أورخان في اوربا وذلك مقابل تسهيل وصول المؤن الغذائية وغيرها الى القسطنطينية (٤) . وفي نفس العام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م تم فتح عدة مدن منها ابسالا (٥) و ( رودستو )(٦) وغيرها من المدن وأصبحت الدولة العثمانية ذات مكانة عالية تهابها وتحسب لها ألف حساب جميع الدول الأوربية رغم عهدها الحديث .

وبينما كان الروم يطلبون من العثمانيين أن يعيدوا لهم هذه المناطق في مقابل مايريدون من المال ، كانت عساكر السلطان مهتمة بالفتوحات المتواصلة في أراضي الروم التى كانت منشغلة بالمنازعات الداخلية (٧)،

---

(١) كليبولي : مما يكسب هذه المدينة أهمية عظمى وقوعها على ضفة بوغاز ( مضيق) الدردنيل الذى هو الممر الوحيد بين بحار اوربا وبحر مرمرة ، وهي تبعد عن مدينة أدرنة بمائة واربعين كيلو متر تقريبا. وتقع في آخر مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي .
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٢٦.

(٢) محمدفريد بك : المصدر السابق ، ص ١٢٦.

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ٤٧.

(٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ،ص ٤٧.

(٥) ابسالا : تقع في شمال مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي .

(٦) رودستو : Rodosto ويسميها الاتراك تكرطاغ أوتكفور طاغ وتقع على بحر مرمره من الجانب الغربي .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٢٧ حاشية رقم (١)و(٢).

(٧) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،جا ،ص ٤٩٠-٤٩١.
ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٩.

فكانت هذه المنازعات فرصة لتقوية مركز السلطان أورخان في أوربا لأن كل فريق من المتحاربين كان يطلب ود المسلمين ليستعين بهم على الفريق الآخر[١].

ثم أرسل أورخان أعدادا كبيرة من التركمان الى تراقيا لتدعيم مركز الدولة العثمانية هناك[٢] . وبينما كان سليمان يقود الجيوش لتحقيق النصر على أعداء الاسلام وافاه الأجل المحتوم فعين لقيادة الجيش أخوه مراد الأول مكانه[٣] . ولما بلغ هذا الخبر والده أسف عليه أسفا شديدا ولم يلبث الا أن توفي من كدره[٤] .

وهكذا توفى السلطان اورخان بعد أن تم خلال حكمه اقامة أهم النظم المدنية والعسكرية، وخفق الهلال راية الدولة على القارة الأوربية، فمنذ أول يوم ثبت فيه العثمانيون أقدامهم على الأرض الاوربية وأعداءهم يحاولون عبثا زحزحتهم عنها دون جدوى[٥] .فانطلقت من غاليبولي قاعدتهم في أوربا الحملات الأولى التي كان من نتاجها فتح كامل شبه جزيرة البلقان على يد خلفاءه[٦] .

واذا كان السلطان عثمان هو مؤسس دولة آل عثمان ،فان السلطان أورخان يعتبر المؤسس الحقيقي لاركان هذه الدولة على أساس مقومات الدولة الحقيقية، فقد حمل لقب سلطان وقام بسك أول عملة عثمانية[٧].

---

(١) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ،جا ، ص ١٧.
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٧.
(٣) تاريخ جودت ،ج ١ ،ص ٣٨.
(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار،ج ١ ،ص ٤٩١.
ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ٣٩.
(٥) حسين لبيب : المصدر السابق ، ص ١٧.
(٦) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨ .
(٧) Halil Inalcik, The Ottoman Empire, p.56.

وعندما تربع السلطانمراد الأول على كرسي الحكم اتبع خطوات والده في الجهاد والفتوحات الاسلامية [١] ، وبينما هو مهتم في بناء أمور دولته الداخلية اذ بأولاد القرمان[٢] المتاخمين لدولته يتحدون مع الحكام المسيحيين ضد السلطان مراد الأول[٣] . ذلك لأن سلطان هذا الاقليم علاء الدين أراد انتهاز فرصة انتقال الملك الى السلطان مراد الاولبعد وفاة والده فأثارحمية هؤلاء الامراء المستقلين وحرضهم على قتال العثمانيين ليدك صرح مجدهم وايقاف عجلة تقدمهم[٤]،فهجم هذا الحلف على بروسه عاصمة الدولة العثمانية ثم ازنيق ،فاستعد السلطان لقتالهم وهزمهم ، ثم استولى على قلعة انقره سنة ٧٦٢هـ /١٣٦٠م[٥] أهم مدنهم ومقر سلطنة القرمان. فلما رأى القرمان انهزامهم أمام القوات العثمانية سارعوا الى ابرام الصلح مع السلطان ليحفظ مابقي لهم من الاملاك[٦]. وفيتلك اللحظة سار البنادقة باسطول بحرى مؤلف من ستين سفينة لطرد العثمانيين من أوربا تقدمت الأولى الى قلعة غاليبولي ، والثانية دخلت جون المعارض ،ثم تقدمت هذه القوة وهجموا على العثمانيين الموجودين في الروملي ، فتصدى لهم الجيش العثماني بكل ثبات فأجلاهم عند الهجمة الأولى وارتدوا على أعقابهم يجرون أذيال الهزيمة والعار .

ولم يكن للعثمانيين في ذلك الحين قوة بحرية ماعدا بعض الزوارق التي يستعملونها داخل بحرمرمرة ، ولكن السلطان رأى في سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١ م

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق أخبار عن دول البحار ،ج ١ ، ص ٤٩١.

(٢) أمراء شبه ملوك الطوائف بالأناضول الذين استقلوابامارتهم عقب سقوط دولة السلاجقة في بلاد قونية.
- Halil Inalcuk: The Otoman Empire, p.56.

(٣) ابراهيك بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ٤١.

(٤) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص١٢٩.

(٥) ابراهيمبك حليم : المصدر السابق ،ص ٤١.

(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٢٩.

زيادة عدد تلك الزوارق لتساعد الجيش في نقل مهامه البحرية • وعلى أثر ذلك عبر بجيشه الى روملي [(١)]،وفتح جملة من البلاد والقلاع [(٢)] •

وفي سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م فتحت مدينة أدرنة [(٣)] • وعين عليها شاهين بك لاله [(٤)]، سلمها قائدها الرومي لما داخله اليأس في استخلاصها •

وقد نقل السلطان مراد الأول عاصمته من بروسه الى أدرنه لأهمية موقعها الاستراتيجي لوقوعها على ملتقى ثلاثة أنهار ، فأصبحت عاصمة للدولة حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح الثاني سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م [(٥)] وأصبحت أدرنة مركز الروملي وعاصمة للدولة بعد بروسه وتحولت من مدينة بيزنطية الى مدينة اسلامية [(٦)].

وفي سنة ٧٦٣ هـ /١٣٦١م عين السلطان مراد الاول القائد اورنوس بك على سواحل الروملي الجنوبية [(٧)] وأناط به مهمة فتح كوملجنة [(٨)] ووردار ،

---

(١) الروملي : بالمصطلح الجديد ( مقدونيا ،وتراقيا )•
— أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ٤٨•

(٢) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ص ٤٩١•

(٣) أدرنه : اسمها بالرومية ( أدريانا بوليس ) نسبة للامبراطور ادريان الرومي الذى أجرى فيها عدة تحسينات اوجبت اطلاق اسمه عليها وتوفي الامبراطور سنة ١٣٨م•
— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٩، حاشية رقم١)•

(٤) لاله شاهين : ( اى مربي السلطان ،وهومربي السلطان في صغره )•
— ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ص ٤٨•

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٢٩–١٣٠•
، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ص ٤٩٢•

(٦) يلماز اوزتونا :تاريخ الدولة العثمانية ،ج ١ ،ص ٩٨ •

(٧) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق ، ص ٤١•

(٨) كوملجنة : وتسمى ( Komotini ) وتقع في الجنوب الغربي من أدرنة وعلى بعد نحو ٢٥ كم شمال بحرايجه •• وتقع وردار Vardar الى غرب كوملجنة وعلى نهر يعرف بهذا الاسم •
— محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٠ حاشية رقم (٢)•

وما جاورها من البلاد[1] .

وفي سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م فتح القائد العثماني شاهين باشا فيلبه[2] ، عاصمة الروملي الشرقية ،وما حولها ،وفتح القائد العثماني اورنوس بـــك جهات سيروز ومناستر وبهشتنه وموشنه وماحولها أيضا[3] ،وصادرت أعمـــال هذه الجهات الأربع وتوابعها ولايةواحدة عين عليها أورنوس بك حاكما لها[4].

وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من الجهة الأوربية بامـــلاك آل عثمان ، وأصبحت الدولة العثمانية بهذا الفتح مجاورة لامارات الصـــرب والبلغار وألبانيا المستقلة[5].

ونتيجة لذلك اضطرب الملوك المسيحيون الصليبيون المتاخمـــون للدولة العلية العثمانية وطلبوا من البابا (اوربانوس )[6]. الخامـــس أن يدعو ملوك اوربا الغربيين ليساعدوهم على حرب العثمانيين المسلميـــن واخراجهم من أوربا خوفا من امتداد الفتوح الاسلامية ونشر الاسلام الى ماوراء جبال البلقان، اذ لو اجتازوها بدون معارضة أو مقاومة لن يقو أحد بعد ذلــك على ايقاف وصد تيار فتوحاتهم ويخشى بعدها على ممالك أوربا مـــــن

---

(١) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ص ٤٩١.

(٢) فيلبه : اسمها بالرومية ميلبو بولس اى مدينة فيليب نسبة لمؤسسهـــا فيليب والد الاسكندر الاكبر ..وتقع Philippolis الى الجنـــوب الشرقي من صوفيا وأدرنه.
— محمد فريد بـــــك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٣٠،حاشية رقم (١).

(٣) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩١-٤٩٢.
أورخان محمد علي : السلطان عبدالحميدالثاني حياته وأحداث عهده ،ص ١٧.

(٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية ، ص ٤١.
اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ،ص ٤٩٢.

(٥) محمد فريد بـــــك : المصدر السابق ، ص ١٣٠.

(٦) اوربانوس : يلفظ بالفرنسية Vrbain واسمه الاصلى قبل أن يكون باباهوكيوم ده كريموار Guillaume de Grimoare
وهو فرنسي المولد سنة ١٣١٠ م ومات سنة ١٣٧٠م وانتخب بابا سنة ١٣٦٢م.
— محمد فريد بـــــك : المصدر السابق ،ص ١٣٠ حاشية رقم(٣).

العثمانيين (١) للاستيلاء عليهاونشر الاسلام فيها ، وهذا ماكان يزعجهم ويقلق بالهم . وقد استجاب البابا فدعا المسيحيين الى حملة صليبية ضد الاتراك العثمانيين (٢) وحرض القوى الصليبية على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الاسلامية (٣) .

وفي سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م تم اتفاق الدول المسيحية على اخراج العثمانيين من الأقاليم الاوربية بناء على دعوة البابا فاستجاب كل من ملوك المجر وبوسنة والصرب مع امير الفلاخ (الافلاق) (٤) .

ولكن ( اوروك ) الخامس ، الذى عين ملك على الصرب ( دوشان) لم ينتظر وصول المدد اليه من أوربا واكتفى بما قدمه له أمراء البوسنة (٥)، والافلاخ، من مساعدات ، وبعدد كبير من فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة (أدرنة) عاصمة الدولة العثمانية ،منتهزا فرصة انشغال السلطان مراد بمحاصرة مدينة ( بيجا ) (٦) بيغا بالقرب من مدينة بورسة بآسيا الصغرى . ولما علم السلطان بأمرهم استعد لهم وقابلهم على شاطئ نهر ( ماريتزا ) (٧) فجأة

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٣٠ ، عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ،ص ٣١.

(٢) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،ج ١ ص ٩٨.

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٠.

(٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية ،ص ٤١. يلماز اوزتونا : المصدر السابق ،ج ١ ،ص ٩٨.

(٥) البوسنه : احدى جمهوريات الاتحاد اليوكسلافي الآن وعاصمتها سراجيفو واكثرية أهلها من المسلمين .
أما الافلاخ : فكان يسميها الاتراك (افلاق) فهي امارة من امارات الدانوب أصبحت تابعة للدولة العثمانية من سنة ١٣٩٥م واستقلت سنة ١٨٥٦م واتحدت مع مولدافيا سنة ١٨٥٨م وكونتا معا الدولة الرومانية الحاضرة .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٠-١٣١ ،حاشية رقم (٤)

(٦) بيجا : ( Bija ) : تقع الى الجنوب من بحر مرمره وبالقرب من مضيق الدردنيل .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣١ ،حاشية رقم (١).

(٧) نهر ماريتسا : Maritza , Marica ينبع من غرب بلغاريا وبحر اليونان ويصب في بحر ايجه .
محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣١ ،حاشية (٣) .

في ليلة مظلمة وكان معه قوة عظيمة ، فاندهش العدو وداخله الفزع ودار قتال عنيف بين القوتين انتهى باندحار القوى الصليبية الذين ولوا على أدبارهم وملأ الرعب قلوبهم[١] .

وتمكن العثمانيون بذلك النصر ضم جنوب جبال البلقان الى بلادهم. وتعد هذه المعركة من المعارك الهامة في تاريخ المسلمين العثمانيين ، اذ لو كتب لهذه الحملة الصليبية النجاح في اخراج المسلمين من أوربا لو اصلوا زحفهم باتجاه المشرق الى آسيا الصغرى ولتكررت مأساة الحملة الصليبية الأولى[٢] ، اذ ان فكرة احتلال بيت المقدس كانت ولا تزال قائمة باستمرار في أذهان زعماء أوربا [٣] ، ولأن هذه الحملة الصليبية تعد الأولى التى نفذت ضد الدولة العثمانية [٤] ، بعد الحملة الثانية التي أسر فيها لويس التاسع في المنصورة وانتهت بالفشل والهزيمة للصليبيين ، وقد بذل لويس وهو ملك فرنسا فدية كبيرة للمسلمين حتى فك من الأسر[٥] .

بعد ذلك عاد السلطان مراد الى مقر سلطته لتنظيم مافتحه من الأقاليم متبعا في ذلك سياسة أسلافه ليستريح من عناء الفتح ، وليعيد ترتيب جيوشه ويوطد اركان بلاده [٦] .

فعظم شان الدولة العثمانية وخافها خصومها خصوصا الضعفاء منهم ، فأرسلت جمهورية (راجوزه )[٧] في عام ٧٦٧ هـ/١٣٦٥م رسلا عقدوا مع

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص١٣٠-١٣١ ، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ٢٢.
(٢) احتلت أنطاكيا والرها وبيت المقدس حتى تم تخليصه على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣ هـ .
(٣) على حسون : المرجع السابق ، ص ٢٢.
(٤) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ،جا ،ص٩٨. اورخان محمدعلي : السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ،ص١٧.
(٥) على محمد جريشه وآخرون : أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي ، ص ١٩ .
(٦) محمد فريد بك : المصدر نفسه ، ص ١٣١ .
(٧) راكوز : Raguse هي الآن بلدة يوكوسلافية وتسمى اليوم(=)

السلطان مراد الأول معاهدة تجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية مقدارها خمسمائة دوكا من ذهب ، وهذه المعاهدة هي أولى المعاهدات التي عقدت بين العثمانيين والدول المسيحية (١) .

وفي سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣ م عين خير الدين باشا الصدر الأعظم لحفظ الجهات الغربية للروملي وأخذ بلاد من يتعدى او يتحرش بالحدود العثمانية ثم فتح قواله وماحولها ثم عاد بجيشه .

وفي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤ م ذهب السلطان والصدر الاعظم خيرالدين باشا الى بروسه لاقامة بعض الاصلاحات الداخلية وتفقد أحوالها ، واذ بملك الصرب لازار الذى خلف ملك الصرب أودوك بعد وفاته يتحرش بقوات الدولة العثمانية (٢)، فقد اتحد مع سيسمان أمير البلغار على هجوم وحرب الدولة العثمانية (٣) ، لمحو ما لحق بهم من العار في الحملة الصليبية الأولى وطرد الدولة من أملاكهم .وعندمابلغ السلطان هذا الأمر غضب منه ،وذهب بنفسه سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م اليه فهرب لازار الى الجبال ،فدعاه الى الحرب والا فانه سوف يستولي على بلاده تأديبا له ، فلم يستطع مقابلته ، فاستولى على قلعة نيش (٤) ،فطلب منه لازار الأمان وعاهده بأن لايتعرض لممالك الدولة مرة أخرى ، فقبل السلطان منه ،وسحب جيشه عائدا الى بروسه مع العلم بأن الجيش كان غير راغب في الانسحاب ، بل كان قادرا على استيلاء

---

(=) دوبرفنيك Dubrounik وتقع على شاطئ البحر الادرياتيكي،وكانت هذه المدينة من سنة ١٤٠٣م - ١٨٠٩م عاصمة لجمهورية استقراطية وقد أثرت ثراء كبيرا من تجارتها مع الدولة العثمانية ،وهي شبه جزيرة مبنية على شاطئ البحر .
محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١حاشية٣.

(١) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) ابراهيم بك حليم: التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العثمانية ،ص ٤٢.

(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٢.

(٤) نيش : مدينة في شرقي يوغوسلافيا قرب الحدود البلغارية .
على حسون: تاريخ الدولة العثمانية ،ص ٢٢ حاشية رقم(٤).

بلاد الصرب بسهولة[1] . وقيل احتل صوفيا [2] وسلانيك [3]، لهذه الأمور ابرم الصلح بين الطرفين على أن يتزوج السلطان بنت امير البلغار ،وعلى أن يدفع ملكا الصرب والبلغار الجزية سنويا[4]، فدفعوها صاغرين خوفا من تصفية أملاكهم .

وفي سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦م سلم حاكم سلستره المدينة الى السلطان مراد، ومن ذلك التاريخ حتى سنة ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١م كان السلطان مهتما بسن التنظيمات والاصلاحات الداخلية في المناطق المفتوحة ليكمل بذلك بناء دولته [5] فبدأ يفكر في توثيق العلاقات مع جيرانه حتى يكون له حلفاء من بين ما بقي مستقلا بامارته من أمراء آسيا الصغرى، فقام بزواج ولده "بايزيد" من بنت أمير كرمان[6]، وجهزها للسلطان بمدينة كوتاهية [7] ، مهرا لابنته كما هي عادة الافرنج[8]، وذلك لتقوية عرى الصداقة بهذه الروابط الاسرية

---

(١) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٢-٤٣ .

(٢) صوفيا : عاصمة بلغاريا اليوم .

(٣) سلانيك : مدينة في اليونان تقع اليوم على الخليج المسمى باسمها ، كانت بؤرة الحركات المعادية للدولة العثمانية .
- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ٢٢ حاشية رقم (١-٢).

(٤) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٣٢.
وابراهيم بك حليم : المصدر السابق ،ص ٤٣.

(٥) ابراهيم بك حليم: المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٦) كرمان : تقع هذه البلاد في غرب الاناضول مابين اسكي شهر شمالا وآفيون قرة حصاره جنوبا .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٣ حاشية رقم (١)

(٧) كوتاهية : تقع الى الشرق باليقيصر وغرب اسكي شهر.
- محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٣ حاشية رقم ( ٢ ).

(٨) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٣؛
- أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ٤٨-٤٩.

وكسب هذه المناطق بجانبها ، وتبادل المحبة والمودة بين الدولة العثمانية وهذه المناطق الاسلامية المستقلة .

الا أن أولاد كرمان كانوا لايزالون يتحرشون بالحدود العثمانية من جهة قونية ، فأرسل السلطان الى حسين بن حميد سفيرا من عنده للمفاوضة معه في بيع [١] ، امارة حميد [٢]، من حاكمها المذكور ،وبذلك أدمج في أملاكه أربعا من دول التركمان ، سلطانوني ،قرة سي ، كرميان ، حميد .

وما لبث ابنه بايزيد أن اكتسح مابتقي من الامارات التركمانية فضم الى دولته أراضي سلاجقة قونية المسلمة [٣] .

أما الصليبيون فمنذ فشل حملتهم الأولى وهم ينظرون الى الدولة ويخططون للخلاص منها ، ففي عام ٧٧٩ هـ / ١٣٨٧م قرر الاسلاف طرد العثمانيين من أوربا ، فتزعمت الصرب والبوسنة وبلغاريا هذه الحملة الصليبية لتنفيذ هذه المؤامرة ، وانضمت اليها ألبانيا ولاشيا والمجر وبولندة ، على حين انشغلت أوربا الغربية بشئونها الخاصة ،ولم تشترك في هذه الحملة الصليبية الثانية ، فحينئذ قام الحلفاء بحشد قواتهم التى هاجموا بها قوات الدولة العثمانية في البوسنة وأبادت ثلاث أرباعها [٤]، الا أن السلطان مراد الأول أرسل قوات أرغمت ملك بلغاريا سيسمان ، الذى كان يتأهب للانضمام الى لازار ملك الصرب ، فاحتلت الجيوش العثمانية ترونوه [٥]وشوملة [٦] ،

---

(١) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية ، ص ٤٣ .

(٢) الحميد : اقليم يقع جنوب الاناضول غرب كرمان وشرق منتشا وشمال تكن .
— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ض ١٣٣، حاشية رقم (٣) .

(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٩ .

(٤) أحمدعبدالرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٤٩—٥٠ .

(٥) <u>ترنوه</u> : هي تورنوفو Tuvnovo وتقع في الجانب الشرقي من بلغاريا .
— محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٤ حاشية (٤)

(٦) شوملة : Shumen وتقع شمال تورنوفو .
— محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٤ ،حاشية ( ٥ ) .

واضطر سيسمان الى الفرار والاحتماء في مدينة نيكوبلى [١]، وأعاد شمل وشتات مابقي من عسكره لحرب الدولة العثمانية ، وخرج من نيكوبلى وهاجم الجيوش العثمانية الاسلامية هجوم اليائس ، فانهزم هزيمة نكراء ووقع أسيرا ،فضم السلطان مراد نصف بلاده الى الدولة ،وعفى عنه ولم يقتله بل عينه حاكما مستقلا على النصفالباقي من بلاده ،مراعيا مقامه السابق وتم ذلك في سنة ٧٩١ هـ/ ١٣٨٩م [٢] ٠وبذلك أصبحنهر الدانوب حد الدولة العثمانية الشمالي [٣] ٠

لقد كان للانتشار السريع للمسلمين في أوربا الممثل في الدولة العثمانية أثره البالغ في بث الفزع والرعب في قلوب الحكام الصليبيين الذين قرروا أن يجمعوا قواتهم ويسيروا بها فيحملة صليبية ثالثة ،وكان منعقدا على هذه الحملة آمال المسيحيين في طرد المسلمين من أوربا [٤].

فتزعم هذا الحلف ملك الصرب لازار أيضا الذى لم يعتبر بانسحاب حليفه ملك بلغاريا وما جرى له ، بل نراه يجمع قواته ويتحدى السلطان مراد الأول ، ويسعى لهذا الامر في سنة ٧٩١ هـ/١٣٨٩م لدى حكام وملوك المجر وبولونيه والبوسنة وألبانيا وغيرها من سائر الحكومات المسيحية المجاورة لتكون الحملة الصليبية الثالثة ضد العثمانيين المسلمين وطردهم من أوربا فجمعوا جيشا من تلك الأقوام بلغوا نحو المائتي الف [٥]، فلم يمكنه السلطان

---

(١) نيكوبلي : اسمها بالرومية نيكوبوليس ،ومعناها مدينة النصر٠ أسسها الامبراطور الرومانيتراجانوس المتوفي سنة ١١٧ بعد المسيح عقب انتصاره على أعدائه ٠
— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٣٥ ، حاشية رقم (١)٠

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٤-١٣٥٠

(٣) أحمدعبدالرحيم مصطفى : في اصول التاريخ العثماني ،ص٤٩٠

(٤) أورخان محمدعلي : السلطانعبدالحميدالثاني حياته واحداث عهده ،ص ١٨٠

(٥) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية ،ص ٤٥٠ ، اسماعيل سرهنك: حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٩٢٠

مراد من ذلك بلجد السير في طلبه حتى لحق به في سهل (قوصوه)[1] سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م ، فأحرز نصرا باهرا على هذا الحلف الصليبي بعد قتال شديد يشيب من هوله الولدان ، دافع خلاله الصربيون واحزابهم دفاعا جعل الحرب بينهما سجالا تناثرت فيها الرؤوس وزهقت فيها النفوس[2] وقد استبسل فيه العثمانيون حتى وقعت الهزيمة فيه على الاعداء وأسر من جيش العدو كثيرون ، وقتل ملك الصرب زعيم العصابة[3] ،بعد آن جرح وأسر. وبهذه الواقعة فقدت الصرب استقلالها كما فقدت البلغار والروملي والأناضول ( آسيا الصغرى) استقلالها من قبل[4].

ولكن أعقب هذا النصر أسف شديد ، وذلك أنه حينما كان السلطان مراد الأول يمر بين القتلى والجرحى ليتعرف على رجاله منهم اذ قام جندي صربي جريح من بين القتلى اسمه (ميلون بلوفتش) وأظهر حركة يرى منها أن مراده تقبيل قدمي السلطان بعد أن أعلن اسلامه واذا به قد أسرع باخراج خنجر كان معه ، وطعن بها السلطان مراد الاول طعنة كانت القاضية على السلطان في الحال[5] فسقط القاتل قتيلا تحت السيوف الانكشارية ،وكانت وفاته سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م ودفن في بروسه[6].

---

(١) قوص : معناها كبير أو واسع . أوه : معناها السهل ويسمى هذا السهل باليوكسلافي ( Kosov polje ) ومركزه بلدة برتستينا وتقع في جنوب يوكوسلافيا بين بلغاريا والبانيا واليونان .
— محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٥، حاشية رقم(٢).

(٢) محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٤.

(٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية،ص ٤٥.
اسماعيل سرهنك :حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٩٢.

(٤) اسماعيل سرهنك: المصدر السابق ،ص ٤٩٢ ،
محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٥.
علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ١٩.

(٥) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٣.،
ابراهيم بك حليم: المصدر السابق ،ص ٤٥ ،
محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٥ ،
عبد اللطيف عبد الله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ص ٣٦.

(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٥-١٣٦ ،

والحقيقة أن عثمان أوجد جنسا ، وأورخان بنى دولة ، الا أن مراد الأول هو الذى أرسى قواعد الدولة العثمانية (١) .

وبوفاة السلطان مراد الأول بويع ابنه السلطان بايزيد الأول في ميدان حرب قوصوه ، يوم وفاة والده ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م فخطى خطو والده وسيرته في الفتح والجهاد (٢) كما هو ديدن سلاطين الدولة منذ تكوينها .

وقد استهل بايزيد حكمه بالقضاء على الاستقراطية الصربية ،وحل القضية القومية الصربية ، ثم تقدم بالجيوش العثمانية داخل بلاد الصرب ، فعرض عليه ستيفن بن لازار ملك الصرب الصلح ، فقبل ذلك ووافق عليه (٣) . وعين حاكما على الصرب ، وتزوج السلطان من أخته (٤) ، السماة مليحة (٥) ، وترك له استقلال حكم بلاده على أنظمتهم وقوانينهم بشرط دفع الجزية للدولة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش العثمانية وقت الحاجة (٦) ، وأن يقوم بنفسه بقيادة الجيش (٧) ، وقد اتبع السلطان بايزيد هذه السياسة وهي الاكتفاء بدخول منطقة الصرب تحت طاعته (٨)

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٠ .

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٠-٥١ .

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٧ .

(٤) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٧ .

(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .

(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠ .
اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

(٧) احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٨) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .

وذلك ليهدىء بال الصربيين، لأن الصربيين قوم يحبون الاستقلال [١]، وخاصة أنهم قبلوا دفع الجزية فتتم معاملتهم معاملة أهل الذمة .

ومن منطقة الصرب سار بايزيد الأول الى ولاشيا فدخلها سنة ٧٩٢هـ / ١٣٩٢م وقد وافق أميرها على دفع الجزية والولاء للسلطان العثماني [٢]

ولما ساد الأمن في أوربا في منتصف سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٩٢م انتهز بايزيد الاول هذه الفرصة وسار بنفسه الى قلعة الآشهر باسيا الصغرى المسماة عند الافرنج ( فيلادلفيا ) [٣] ففتحها فكانت آخر مدينة مهمة بقيت للقسطنطينية بآسيا الصغرى [٤] .

عند ذلك هابه أمير ( آيدين ) [٥] ،فترك له أملاكه وغادرها ليعيش في احدى المدن الخارجة عن النفوذ العثماني ، ثم تلى ذلك قيام كل من اميرى منتشا [٦] وصاروخان [٧] فترك ولايتهما واحتمائهما بأمير (قسطموني ) [٨] كما قام حاكم بلاد القرمان الامير علاء الدين بالتنازل للسلطان عن جزء عظيم من أملاكه ليؤمن له ماتبقى له من آملاك [٩] .

---

(١) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٧.
(٢) عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥١.
(٣) فيلادلفيا : تقع غرب الأناضول الى الشرق من مدينة أزمير.
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ،حاشية رقم(١)
(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص ٤٩٥.
 محمد فريد بك :المصدر السابق ،ص ١٣٧. حاشية (٢).
 على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ٢٠.
(٥) ايدين : تقع فيجنوب غربتركيا جنوب فيلادلفيا .
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٧. حاشية (٢).
(٦) منتشا : جنوب آيدين على بحر ايجة .
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٨ . حاشية (١)
(٧) صاروخان : شمال أزمير على بحر ايجه .
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٨ حاشية (٢)
(٨) قسطموني : في شمال الأناضول علىبعد نحو مئةكم عن البحر الأسود.
 - محمد فريد بك : المصدر السابق ص ١٣٨ . حاشية (٣).
(٩) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٧-١٣٨.

وبعد هذه الفتوحات العثمانية بآسيا الصغرى عاود السلطان بايزيد الأول حرب اوربا فبدأ بحصار القسطنطينية ،وبعد أن ضيق عليها الخناق وترك حولها جيشا ليتولى مهمة حصارها ، انتقل لغزو أمير الفلاخ (الفلاق) دوكمانيس ، فقهر أميرها وأخذ منه الجزية [١]،شريطة الاعتراف بالسيادة العثمانية مع بقاء بلاده يحكمها بما ألفوه من قوانين وكان ذلك في سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٣م [٢] .

واستغل علاء الدين أمير القرمان انشغال السلطان بحرب أمير الفلاخ وقام باسترداد ماتنازل عنه للدولة سابقا ، فهاجم مدينة انقره ،واستطاع أن يهزم أميرها تيمور طاش وأن يأسره [٣] .

فلما علم السلطان بالخبر قاد بنفسه الجيش الى بلاد الأناضول مسرعا في طلب علاء الدين فتقابل الجيشان في مكان يسمى ( آق جاى ) فانهزم أمام السلطان بايزيد وأسره مع ابنه محمد على ، وضم بلاده الى دولته ، وكل ماتبقى له من أملاك [٤]، فتعجب الناس في سرعة وصوله لبعد المسافة فلقبوه (بيلدرم) أى الصاعقة [٥] . بسبب سرعة حركته .

ثم واصل فتوحاته ففتح امارات سيواس ،وتوقات [٦]،وكان آخر أمرائها برهان الدين [٧]، ولم يبق في الأناضول من بقايا اطلال دولة السلاجقة الا امارة قسطموني [٨] ، وكانت خارجة عن أملاك الدولة العثمانية

---

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠.
(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٣٩.
(٣) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٩.
- على حسون : المرجع السابق ، ص ٢٠.
(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٣٩.
(٥) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية فيتاريخ الدولة العلية ،ص ٤٧.
(٦) سيواس وتوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا.
محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٩ حاشية رقم (٤)
(٧) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٣٩.
(٨) علىحسون : المرجع السابق ، ص ٢٠.

وحاكمها اسمه بايزيد أيضا ، احتمى ببلاده كثير من أولاد الأمراء الذين ضم السلطان بلادهم ، فأرسل السلطان اليه يطلب منه تسليم أولاد أمير آيدين وصاروخان فامتنع عن ذلك ،فسار اليه السلطان بنفسه وتم ضم مدن ساسون[1] وقيصرية[2] وجنابك وعثمانجق [3] فلجأ بايزيد صاحب قسطموني الى تيمورلنك سلطان المغول [4]، وبذلك انقرضت جميع الامارات السلجوقية القائمة بالأناضول وصار العلم العثماني يخفق فوق صروحها[5] .

وقد أخطأ بايزيد الأول حين أدخل سياسة جديدة لفرض سيطرته المباشرة على هذه المناطق التي قام بضمها في آسيا الصغرى وذلكعندما طرد أسرها الحاكمة وأخضعها لسلطته المباشرة . ذلك لأن هذه السياسة لقيت مقاومة شديدة في الدولة العثمانية خاصة ، وفي البلدان التى تم الاستيلاء عليها عامة، وكانت هذه المقاومة موجهة ضد التسرع في الضم التى تم الاستيلاء

---

(١) مدينة صغيرة شمال تركيا علىساحل البحر الأسود .
- على حسون:تاريخ الدولة العثمانية ص ٢٠ حاشية (٥).

(٢) مدينة في الأناضول وهي عقدة مواصلات برية .
على حسون : المرجع السابق ،ص ٢٠ ، حاشية رقم ( ٦ ).

(٣) تقع الىالجنوب الغربي من ساسون .
- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ،ص ١٤٠ حاشية رقم (١).

(٤) اى تيمور الأعرج : ولد سنة ١٣٣٦ ميلادية تقريبا ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصلنسبه بجنكيزخان التترى من جهة النساء وخلف عمه سيف الدين فيامارة كيش سنة ١٣٦٠واخذ في الاستيلاء علىماحوله من الامارات والقبائل ثم استولىعلى بلاد خوارزم وكشغر وبلاد ايران ومنها سار الى جنوب الروسية واحتلاقليم آزاق ثم قصد بلاد الهند فانتصر على صاحب ( دهلي ) وضم معظم بلاد الهند ومنها عاد الىالغرب ، فاحتل بلاد الشام ومدينة بغداد التي خربها عن آخرها وقبل أن ينظم هذه التحركاتالعديدة قصد بلاد الصين في جيش يجل عنالحصر بعد أن حارب السلطان بايزيد العثماني، وأخذه اسيرا فعاجله المنون قبل أن يصل الصين في اقليم خوقند في ١٧ شعبان ٨٠٧هـ(١٨فبراير سنة١٤٠٥م) وبموته تفرقت مملكته بين ولده شامرخ واحفاده واولاد احفاده .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٤٠ ،حاشية رقم(٢).

(٥) محمد فريد بك: المصدر السابق ، ص ١٣٩-١٤٠.

عليها حيث اعتبرت هذا خروجا على القاعدة العثمانية.

وقد كانت هذه السياسة من أهم العوامل التي أدت الى نكبة أنقرة، وعودة الأسرة الحاكمة في القرمان على أثرها، مما يدل على أن آل عثمان لم يحكموا قبضتهم على الدولة القرمانية الا بعد فتح القسطنطينية [١].

وعاد بايزيد بعد ذلك لمتابعة حروبه في اوربا، واستكمال فرض الحصار الذى كان قد فرضه على القسطنطينية، ومع استمرار الحصار قام باستكمال فتح بلاد البلغار وضمها الى املاك الدولة فأصبحت تلك المناطق ولاية عثمانية خاصة بعد مقتل حاكمها سيسمان، واسلام ابنه الذى عين حاكما لمدينة لسمسون[٢] في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٤م[٣].

ولتدعيم مركزه في تلك المناطق قام بايزيد بتزويد سلستريا ونيكوبوليس ودين وقلاع أخرى من قلاع الدانوب بحاميات قوية، بعد تحصينها. وعلى أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين للاسلام تعززت مكانة السكان المسلمين على طول الحدود الشمالية للدولة، وزاد نتيجة لذلك هجرة عدد من مسلمي الأناضول الى البلقان[٤]، مما ساعد على انتشار الاسلام في مناطق البلقان كلها، وهذا يدل على قوة الدولة في نشر الاسلام في أوروبا. وهذا ماحققه العثمانيون على طول جهادهم المستمر داخل القارة الأوربية.

وقد أعقب ذلك قيام بايزيد الأول بتشديد الحصار على القسطنطينية وطلب من امبراطورها أن يعين قاضيا في القسطنطينية للفصل في شئون المسلمين، فقبل الامبراطور ذلك الشرط بايجاد محكمة اسلامية وبناء مسجد وتخصيص سبعمائة منزل داخل المدينة للجالية الاسلامية، كما تنازل لبايزيد

---

(١) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٣٩-١٤٠.
(٢) سمون : مدينة تركية في شمال شرق البلاد على البحر الاسود.
- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠ حاشية رقم (٣).
(٣) محمد فريد بك المحامي : المصدر السابق، ص ١٤٠.
(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، ص ٥٣.

عن نصف غلطه التي وضعت فيها حامية عثمانية قوامها ستمائة جندى، ثم زيدت الجزية التي كانت الامبراطورية البيزنطية تدفعها ، وزيد على ذلك فرض رسوم على الكروم ومزارع الخضروات الواقعة خارج المدينة تدفع لخزينة الدولة العثمانية في استانبول ، وأخذت من تلك الساعة المبآذن تنقل الآذان من العاصمة البيزنطية (القسطنطينية )(١).

وكان من نتائج هذه الانتصارات العثمانية أن قامت دول أوربية بتحريض من البابا بونيفاسيوس التاسع واتفقت على شن حرب طليبية رابعة اشتركت فيها حوالى خمسة عشر دولة آوربية كان من بينها دول انكلترا وفرنسا والمجر (٢) .

وكان المحرك الأول لتلك الحرب الطليبية الجديدة وزعيمها هو ملك المجر سجمند الذى سمع ماحل ببلاد البلغار ، فداخله الخوف على فقد مملكته اذ صار متاخما في عدة نقاط للدولة العثمانية ، فدعا حكام أوربا من المسيحيين مستنجدا بهم وساعده في ذلك البابا ، الذى أعلن الحرب الدينية بين أقوام أوربا الغربية (٣) فشكلت في مجموعها جيشا طليبيا اشتركت فيه كل دول أوربا الغربية ،وكذلك دول المواجهة التي تواجه مناطق السيطرة العثمانية (٤) .

وتفصيل ذلك أن دوك (بورغونيا )(٥) أجاب الدعوة ، وأرسل ابنه

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ٥٣.
(٢) أورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثاني ،حياته واحداث عهده ، ص ١٨.
كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه فارس ومنير البعلبكي ،(الطبعة السادسة ،بيروت ،دار الملايين: ١٩٧٤م) ،ص ٤١٩.
(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ١٤٠-١٤١
(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٣.
(٥) بورغونيا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا شبه مستقلة لم يكن لملوك فرنسا عليها الا السيادة وحق طلب الجنود للحرب عند الضرورة حتى توفى اهم امرائها شارل الجسور الذى توفي سنة ١٤٧٧م من غير عقب وضمت الى فرنسا من ذلك التاريخ ،واسمها بوركوني . Bourgogne
ـ محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١ حاشية رقم (١).

الكونت دى نيفر (١)، ومعه ستة الاف محارب أغلبهم من نبلاء فرنسا وكان من بين هؤلاء المحاربين اقارب ملك فرنسا نفسه كما انضم اليهم حين مسيرتهم الى بلاد المجر بافاريا (٢)، وولاشيا وبلغاريا مجموعة من الخارجين عن طاعة الدولة العثمانية من الذين خلعوا ولاءهم للعثمانيين (٣). كما وفد عليهم أشخاص من النمسا ( استيريا ) وشواليه (٤) ، فرسان القديس حنا الاورشليمي وكثير من الألمان (٥). وتوافد ايضا الصليبيون الى بودا من الانجليز واسكتلنده وبولنده وبوهيميا والنمسا وايطاليا

---

(١) نيفير Denevers مركز ولاية نيفر وتقع جانب نهر لوار وتبعد ٢٣٢ كم الى الجنوب الشرقي من باريس .
- محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤١ ، حاشية ( ٢ ).

(٢) مملكة مستقلة بألمانيا يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نسمة وعاصمتها مدينة مونيخ او (مونكن) كما يسميها الالمان وهي داخلة الان ضمن الدولة الالمانية التي تشكلت سنة ١٨٧١م ، عقب تغلب الروسيا على فرنسا مع بقاء استقلالها وحكومتها وملوكها ، وهي الآن جزء من جمهورية ألمانيا الاتحادية .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١ حاشية رقم (٣).

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول الدولة العثمانية ، ص ٥٤.

(٤) شواليه : هم طائفة الرهبان الذين ذهبوا الى فلسطين في القرن الحادى عشر الميلادى اثناء الحروب الصليبية التى اثارها المسيحيون على المسلمين لامتلاك القدس الشريف لخدمة حجاج النصارى . ولما استولى السلطان صلاح الدين الايوبي على مدينة اورشليم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م انتقلت هذه الطائفة الى عكا ثم الى جزيرة رودوس واتخذتها مركزا لمحاربة المسلمين وتعطيل تجارتهم ونهب مراكبهم وأسر من بها . ولما فتح السلطان سليمان القانوني هذه الجزيرة سنة ٩٢٢ هـ/١٥٢٢م ، رحلت هذه الطغمة الى جزيرة مالطة التي أعطاها لهم الامبراطور شارلكان فاحتلوها الى أن احتلها بونابرت سنة ١٧٩٨م اثناء قدومه الى مصر فانمحت هذه الطائفة تقريبا ولم يبق الا اسمها .
- محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١ حاشية رقم (٥).

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٤.

وسويسرا ، وكذلك من بلدان جنوبي شرقي أوربا وعبر الحلفاء أراضي الصرب التي حافظ أميرها اسطفن بن لازار على ولائه ، مما دعا هذا الحلف الصليبي الى تخريب أراضيه [١] ، وأخيرا وصلت قوات الحلفاء الى نيكوبوليس ، عن طريق نهر الدانوب لمحاصرتها [٢]، الا أن الصاعقة أو البرق السلطان بايزيد كما يسميه معاصريه ، لقوة بأسه ،عاد مسرعا من آسيا الصغرى [٣] وكان محاصرا للقسطنطينية فتخلى عن حصارها وعاد لمواجهة هذا التحالف الصليبي [٤] ، وبصحبته مائتى الف مقاتل ،كان من ضمنهم اهل الصرب تحت قيادة اميرها اسطفن (استيفن) بن لازار المذكور وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لولاء السلطان العثماني ،جاءوا جميعا لقتال هؤلاء الصليبيين ، فدارت معركة بين القوتين انتهت بانتصار العثمانيين انتصارا باهرا ألحق بالحلف الصليبي هزيمة نكراء و ذلك في ٢٣ ذى القعدة سنة ٧٩٨ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦م [٥] .

وكان هدف هذه الحملة الصليبية الرابعة هو هزيمة الدولة العثمانية في أوربا ومحاولة الوصول الى البقاع المسيحية المقدسة في بيت المقدس بفلسطين [٦] . ومعنى ذلك أن الروح أو الفكرة الصليبية التي نسيها الناس في الظاهر منذ أمد طويل تعود الى الظهور مرة أخرى [٧].

وبمعنى آخر ان الحملات الصليبية على المسلمين لازالت الشغل الشاغل في ذلك الوقت للصليبيين بهدف الوصول الى بيت المقدس ،وهذا ماتحقق لهم الا بعد الحرب العالمية الأولى ، مرورا بالمسألة الشرقية في القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للتاسع عشر الميلادى .

---

(١) أحمدعبدالرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ،ص ٥٤.

(٢) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٤٤.

( ـ احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ،ص ٥٤ .

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ،ص ٤٩٥.

(٥) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٤.

(٦) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٠.

(٧) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ١٤٩.

وفي هذه المعركة الحاسمة أحرز بايزيد الأول قمة مجده ، فأرسل من ميدان المعركة الى قاضي بورسه ، بأنباء النصر ، وأعلن انه سيفتح ايطاليا وأن حصانه سيتناول طعامه على مذابح كنيسة القديس بطرس .

كما بعث من أدرنه برسائل الى كبار حكام الشرق الاسلامي يزف اليهم بشرى انتصاره في نيكوبوليس ، واتخذ لنفسه لقب ( سلطان الروم )كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على شبه جزيرة الأناضول كلها (١) .وأرسل السلطان بايزيد الى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة طالبا منه أن يخلع عليه أو يمنحه لقب " سلطان الروم " كي يضيف على سلطنته التي يتمتع بها هو وأجداده من قبل الطابع الشرعي الرسمي فتزداد هيبته لدى العالمين الاسلامي والمسيحي .

ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق ، حامي الخليفة ، الا أن وافق على طلب السلطان ، اذ كان يرى فيه حليفه الأوحد ضد الخطر المغولى الذى كان يهدد العالم الاسلامي بأكمله (٢) فخلع عليه الخليفة لقب ( سلطان أقاليم الروم) (٣) .

عاد السلطان بايزيد الأول بعد ذلك لمواصلة حصاره للقسطنطينية فشد عليها الحصار ، ولولا غارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لتمكن السلطان هذه المرة من فتحها (٤)، لنقض صاحبها العهد حين تعاهد أوتحالف مع ملك الصرب والمجر وفرنسا لحرب الدولة قبيل الحلف الصليبي الرابع (٥) .

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٤.
(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٤٢٠.
(٣) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، ص ٤٩.
(٤) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٤.
(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٥.

ولكن استفحال أمر تيمورلنك الأعرج سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ م جعل السلطان يترك حصار القسطنطينية ويكتفي بالصلح مع ملكها مانويل [1]، بعد حصار دام ست سنوات أشرفت فيها على السقوط [2].

وكان تيمورلنك قد سار الى بلاد الاسلام بآسيا الوسطى لسلبها من أيدى ملوكها حتى وصل الى بغداد والعراق، فهرب حاكمها السلطان احمد جلاير خشية من بطشه، وكذلك هرب حاكم أذربيجان قره يوسف، والتجآ بعائلتيهما الى السلطان بايزيد، فأرسل تيمورلنك سفيرا الى السلطان بايزيد الاول يطلب فيه تسليمهما، ولكن السلطان رفض هذا الطلب واستهجنه وعاد السفير الى تيمورلنك [3].

وكما لجأ امراء العراق وأذربيجان الى السلطان بايزيد، فقد لجأ من قبل الى تيمورلنك بعض أمراء آسيا الصغرى، وكان آخرهم بايزيد أمير قسطموني كما سبق أن فر الى تيمورلنك، وفي كلا الجانبين كان اللاجئون يحرضون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر، وربما لم نجد هذه التحريضات آذانا صاغية من تيمورلنك، الا أنه خشي من تحركات الدولة العثمانية ضده وضربه من الخلف، في الوقت الذى كان يفكر فيه بغزو الهند لتوسيع رقعة ملكه، وقد أدرك بايزيد هو الآخر حتمية الصراع مع تيمورلنك، ولهذا السبب سعى الى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الامارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة [4] كما مر بنا.

---

(١) ابراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص ٤٩.
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٤٤.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، ص ٥٥.

(٣) ابراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.
- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧.
علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٣.

وقد أشيع أن الصليبيين عمدوا هذه المرة الى تحريض المغول على هجوم العالم الاسلامي من جهة وذلك عن طريق بناتهم اللواتى كن في قصور أمراء وحكام المغول عن طريق السياسة والمفاوضة [1] . وبمعنى آخر أن الصليبيين زوجوا بناتهم وأهدوا بعض الجوارى الحسان للعمل في قصور وأمراء وحكام المغول لاستمالة قلوبهم وتحريكهم لغزو الدولة العثمانية واشغالها من الخلف حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوربا وهم يواصلون الهجوم على الدولة من الغرب حتى يستطيعوا ابعادهم عن أوربا كلها ، وبالتالى يزحفون الى آسيا للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين ، وقد نميل الى هذا الرأى أنه من أهم أسباب غارة المغول على الدولة الاسلامية اضافة الى ماسبق من أطماع المغول منذ موجاتهم الأولى ،وقد تكون هذه الحملة استمرارا للغارات والهجرات المغولية التي قامت في وسط آسيا السابقة .

ومهما تكن المبررات فقد أعد تيمورلنك العدة فاغار بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى ، وفتح مدينة سيواس بأرمينيا وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد ،وقطع رأسه . حينئذ اضطرب السلطان بايزيد، فجمع الجيش وسار به لمحاربة هذا المغولى ،فتقابل الجيشان في سهل أنقرة ،فاقتتل الجيشان قتالا عنيفا أظهر السلطان خلاله من الشجاعة ما أبهر العقول وأدهش الأذهان ، قبيل شروق الشمس حتى المغيب ،ولكن نتيجة لضعف جيشه وفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامهم الى جيوش تيمورلنك لوجود أمرائهم الأصليين وأبنائهم وكبار رجالهم في صفوف المغول ، فلم يبق مع السلطان سوى عشرة آلاف جندى انكشارى ، وبعض العساكر الصربية ، الذين اثبتوا ولاءهم للدولة في الحملة الصليبية الرابعة .

---

(١) على حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢١ .

ولم يثنه ذلك النقض فقد استمر في الحرب والقتال حتى سقط آخر النهار أسيرا في أيدي المغول ومعه ابنه موسى (١)، ولكن على حسون يذكر أن جيوش النصارى التي كانت تحت قيادة بايزيد لم تدخل المعركة الا وهي مكرهة ولعلهم يعلمون مدى التحالف القائم بين صليبي أوربا والمغول والذى أبرم بين الطرفين ، فقد سعى هؤلاء قبل تقدمهم نحو العالم الاسلامي أن يكون هجومهم والتتار معا ، مع العلم أن التتار في ذلك الوقت كانوا قد دخلوا الاسلام ، الا أن الصليبيين استغلوا الخلاف المذهبي بين العثمانيين السنة وماكان عليه تيمورلنك من التشيع ،فأقنعوه بوسائلهم الخاصة كما سبق ، على غزو العثمانيين من الغرب وقدومهم من المغرب في آن واحد(٢) .

وقد آسر أيضا ابنه مصطفى الذى أرسله تيمورلنك الى سمرقند، وقد أطلق سراحه بعد عدة سنوات (٣)، وهرب اولاده سليمان ومحمد وعيسى وكانت هذه الموقعة في ١٩ ذى القعدة سنة ٨٠٤/ ٢٠ يوليو سنة ١٤٠٢م(٤)، ولكن تيمورلنك لم يقتل أسيره بايزيد بل اكرم مثواه ، وفي رواية أهانه (٥). بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات (٦) . ولكن السلطان مات بعد سنة من آسره اى سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٣م (٧) . وان هذه الهزيمة هي سبب موته كمدا وهو في الاسر وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن اباه في مقابر سلاطين آل عثمان في بورسه وهذا دليل على احترام تيمورلنك للسلطان بايزيد الثاني(٨) .

---

(١) محمد فريد بك :تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٦.
(٢) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٢٣.
(٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية، ص ١١٨.
(٤) محمد فريد بك : المصدر السابق ، ص ١٤٦.
(٥) اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ١٩٦.
(٦) محمد فريد بك : المصدر السابق ،ص ١٤٦.
(٧) اورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده ، ص ١٨.
(٨) اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ج ١ ،ص ٤٩٦.

وقد أخذ تيمورلنك بعد ذلك في الاستيلاء على الأناضول وعمد الى احياء الامارات القديمة من أجل تفتيت وتقسيم الدولة العثمانية (١)، وأن لايقوم لها قائمة بعد اليوم .

ويذكر المؤرخ أحمد جودت باشا ، أنه قد تهيأ لبايزيد الأول ماكان مطمح أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن ارطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وهو فتح القسطنطينية لكن من سوء طالعه استولت عليه أهواء النفس في أمره فتهافت على مالايتفق من الاسراف والتبذير والميل مع هوى النفس والاسترسال في اللهو والخلاعة ، وغير ذلك من دواعي التأخر ، اغتنمها تيمورلنك لصالحه فوقع له ماوقع ، ففرحت دول أوربا بما وقع للسلطان بايزيد فأرسل ملك فرنسا تهنئة الى تيمورلنك بهذه المناسبة ، فأجابه تيمورلنك على التهنئة (٢).

وعلى أثر موقعة أنقرة اكتسح تيمورلنك آسيا الصغرى،واستولى على نيقية وبروسه وغيرهما من المدن الساحلية (٣)، وكان تيمور لنك يريد تمزيق وحدة الدولة العثمانية ، وتفريق كلمتهم وألا يقوم لهم بعد تلك المعركة أي قائمة كما أنه يحرض بعضهم على قتال بعض (٤) ، لهذا دب الخلاف بين أبناء بايزيد الكل منهم يريد أخذ مكان والده ليحكم الدولة (٥)

---

(١) أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني ،حياته واحداث عهده ، ص ١٨ .

(٢) تاريخ جودت : ج ١ ، ص ٤٠ .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني ، ص ٥٩ .

(٤) اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٩٧ .

(٥) أورخان محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٩ .

وكادت الدولة أن تفلت منهم بسبب هذه الخلافات التى وقعت فيها السلطنة وهذا مايسمى بفترة فاصلة في التاريخ العثماني ، " أى منفصلة عن محورها الأصلي " (١) . وقد دام هذا الخلاف حوالي احدى عشرة سنة من ٨٠٥ – ٨١٦ هـ / ١٤٠٢ – ١٤١٣م حتى استطاع السلطان محمد الأول ابن السلطان بايزيد الأول أن يتولى زمام السلطنة بعد اسقاط اخوته ، وأن يجمع الكلمة في يده وأن يوحد الدولة العثمانية من جديد ، وينفرد بسلطتها (٢) .

ولذلك تعتبر معركة انقرة من أكبر الكوارث التى أخرت الدولة العثمانية عن فتوحاتها الجهادية نحو أوربا حوالى نصف قرن (٣) .

وان كارثة كهذه لو وقعت على آية دولة لمحتها عن آخرها ، الا أن الأساس الذى قامت عليه الدولة العثمانية كان متينا فاستقر أمرها ، بتغلب السلطان محمد الاول الملقب ب (جلبي ) على اخوته فتهيأت له ذلك أسباب الاستقلال بالملك كما مر بنا ، فرفع شأن الدولة العلية وعادت في زمن قليل الى سابق عزها ومجدها ووحدتها ، ثم توفى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١ م (٤) .

ويعود ذلك الى التوفيق الكبير من الله الذى صادف السلطان محمد جلبي لتوحيد ملكه ، لذلك اعتبر هو المؤسس الثاني للدولة العثمانية بعد كارثة أنقرة (٥) . وتقلد الملك من بعده ابنه السلطان مراد الثاني الذى قوى أركان الدولة ووسع نطاق المملكة بما يزيد على ماكانت عليه . ولما توفى رحمه الله سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١ م تولى مكانه ابنه محمد الثاني (الفاتح) (٦) ، كما سيأتي في بابه .

---

(١) أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٠ .
(٢) أورخان محمد على : السلطان عبد الحميد الثاني ، حياته واحداث عهده ، ص ١٩ .
(٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١١ .
(٤) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠ .
(٥) يلماز اوزتونا : المصدر السابق ، ص ١١٦ .
(٦) أحمد جودت باشا : المصدر السابق ، ص ٤٠ .